

الفصل الثامن

طبقات العرب

اتفق الرواة وأهل الأخبار ، أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث القدم الى طبقات : عرب بائدة، وعرب عاربة ، وعرب مستعربة . أو عرب عاربة ، وعرب متعربة ، وعرب مستعربة. أو عرب عاربة وعرباء وهم الخالص، والمتعربة. واتفقوا أو كادوا يتفقون على تقسيم العرب من حيث النسب الى قسمين: قحطانية ، منازلهم الأولى في اليمن . وعدنانية ، منازلهم الأولى في الحجاز^١ .

واتفقوا ، أو كادوا يتفقون على أن القحطانيين هم عرب منذ خلقهم الله ، وعلى هذا النحو من العربية التي نفهمها ويفقهها من يسمع هذه الكلمة . فهم الأصل ، والعدنانية الفرع ، منهم أخذوا العربية ، وبلسانهم تكلم أبناء إسماعيل بعد هجرتهم الى الحجاز ، شرح الله صدر جدهم إسماعيل ، فتكلم بالعربية ، بعد أن كان يتكلم بلغة أبيه التي كانت الإرمية ، أو الكلدانية ، أو العبرانية على بعض الأقوال^٢ .

ونجد الأخباريين والمؤرخين يقسمون العرب أحياناً الى طبقتين : عرب عاربة، وعرب مستعربة . ويدخلون في العرب العاربة عاداً وعيلاً ابني (عوص بن لارم)،

١ ابن خلدون (١٦/٢) « طبعة بولاق » ، الهلال : الجزء العشرون ، السنة الخامسة حزيران ، ١٨٩٧ (ص ٧٦٨ فما بعدها) ، تاج العروس (٣٣٣/٣) ، « الكويت »

٢ مرجع الذهب (٢٦٢/١) ، نهاية الارب ، للنويري (٢٩٢/٢)

وثمود وجديس ابني (جاثر بن لارم) ، وعمليق وطسم وأميم بني (لوزان بن لارم) ، و (بني يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام) ، وهم : جرهم ، وحضرموت ، والسلف ، وجاسم بن عمان بن سبأ بن يقشان بن ابراهيم^١ . أما (الهمداني) ، فقد عدّ كل القبائل التي أولها (جاسم) وآخرها (عبس الأولى) من العرب العاربة^٢ . والقبائل المذكورة هي (جاسم) الذين نزلوا بعمان والبحرين ، وبنو هيف ، وسعد ، وهزان الأولى ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق ، وبنو بديل ، وراجل ، وغفار ، وتيما ، وبنو أثابر ، وبنو عبد ضخم^٣ .

وظل الرواة يتوارثون هذا التقسيم كلما بحثوا في تأريخ العرب قبل الإسلام ، وفي موضوع الأنساب . ولا حاجة بنا الى أن نعود ، فنقول : إن كل ما روي من هذا التقسيم وما رواه الرواة من أخبار تلك الطبقات ، لم يرد إلينا من النصوص الجاهلية ، وإنما ورد إلينا متواتراً من الكتب المدونة في الإسلام ، لذلك لا نستطيع أن نجرؤ فنقول : إن هذا التقسيم وضعه الجاهليون ، وتوارثوه كابراً عن كابر ، حتى وصل إلى صدر الإسلام ، ثم منه وصل إلينا :

وتقسيم العرب الى طبقات — وذلك من ناحية القدم والتقدم في العريية — هو تقسيم لا نجد له ذكراً لا في التوراة أو الموارد اليهودية الأخرى ولا في الموارد اليونانية أو اللاتينية ، أو السريانية . ويظهر أنه تقسيم عربي خالص ، نشأ من الجمع بين العرب الذين ذكر أنهم بادوا قبل الإسلام ، فلم تبق منهم غير ذكريات ، وبين العرب الباقيين ، وهم إما من عدنان ، وإما من قحطان .

وجماع العرب البائدة في عرف أكثر أهل الأخبار ، هم : عاد ، وثمود ، وطسم ، وجديس ، وأميم ، وجاسم ، وعيبيل ، وعبد ضخم ، وجرهم الأولى ، والعلقة ، وحضور^٤ . هؤلاء هم مادة العرب البائدة وخامها ، وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق في نظر أهل الأخبار .

١ المحبر (ص ٣٩٥) .

٢ الاكليل (٧٥/١) .

٣ الاكليل (٧٢/٢) فما بعدها .

٤ الطبرى (١٠٣/١) فما بعدها ، (٢٠٣/١) فما بعدها ، طبعة « دار المعارف » ، وتجد اختلافاً في الأنساب ، التنييه والإشراف (١٥٧) ، « طبعة الصاوى ، « العرب العاربة سبع قبائل » « وهم تسع قبائل » تاج العروس (٣٣٣/٣) ، « الكويت » ،

أما عاد ، فإنهم من نسل (عاد بن عوص بن لرم) . وأما ثمود فن نسل (ثمود بن غاثر بن لرم) . وأما (طسم) ، فن نسل (طسم بن لاوذ) .
وأما (جدیس) ، فن نسل (جدیس بن غاثر بن لرم) ، في رواية أو من نسل (جدیس بن لاوذ بن سام) على رواية أخرى^١ . وأما (أميم) ، فإنهم من نسل (أميم بن لاوذ بن سام)^٢ . وأما (جاسم) ، فن نسل (جاسم) ، وهو من العماليق أبناء (عمليق) ، فهم اذن من نسل (لاوذ بن سام) . وأما (عييل) ، فإنهم من نسل (عييل بن عوص بن لرم)^٣ ، وأما (عبد ضخم) ، فن نسل (عبد ضخم) من نسل (لاوذ) ، وقد جعلوا من صُلْب (أبناء لرم) في رواية أخرى . وأما (جرهم الأولى) ، فن نسل (عابر) ، وهم غير جرهم الثانية ، الذين هم من القحطانيين^٤ . وأما العماليق ، فإنهم أبناء (عمليق بن لاوذ) ، وأما (حضورا) ، فإنهم كانوا بالرس ، وهلكوا . نرى مما تقدم ان أهل الأخبار قد رجعوا نسب العرب البائدة إما الى (لرم) ، وإما الى (لاوذ) ، باستثناء (جرهم الأولى) الذين ألحق بعض النسابين نسبهم بـ (عابر) . وهذه الأسماء هي أسماء توراتية ، وردت في التوراة ، وأخذها أهل الأخبار من منابع ترجع الى أهل الكتاب ، وربطوا بينها وبين القبائل المذكورة ، وكونوا منها الطبقة الأولى من طبقات العرب .

و (لرم) ، هو شقيق (لاوذ) في التوراة ، وأبوها هو (سام بن نوح) ، وقد ترك (سام) هذا من الأولاد (آشور) Asshur و (أرفكشاد) و (لود) و (لرم) و (عيلام) . كما ورد في التوراة^٥ . وقد أجرى أصحاب الأخبار بعض التحوير والتغيير في هذه الأسماء ، بأن صيروا (آشور) (أشوذ) و (انشور) و (أرفكشاد) (أرفخشذ) ، و (لود) (لاوذ) ، و (عيلام) (عويلم) . أما (لرم) ، فقد أبقوه ولم يغيروا في شكله^٦ .

- ١ « وولد لللاوذ بن سام : طسم وجدیس » ، الطبري (٢٠٤/١ ، ٢٠٦) ، « دار المعارف » .
- ٢ الطبري (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .
- ٣ الطبري (٢٠٣/١) وما بعدها ، « عوض » ، الكامل (٣١/١) ، مروج (٢٤/١) .
- ٤ ابن خلدون (٣٠٧/٢) ، صبح الاعشى (٣١٤/١) .
- ٥ « آشور » « آشور » Asshur أرفكشاد ، أرفخشش ، Arpachshad لود ، Lud لوديم ، Ludim أرم ، Aram « عيلام » ، Elam
- ٦ الطبري (٢٠٣/١) ، « دار المعارف » .

ولا نجد لـ (لود) أي (لاوذ) ولدآ في التوراة . فأولاده المذكورون هم هدية من أهل الأخبار قدمت اليه . أما (لرم) ، وهو (آرام) في التوراة ، فإن له من الأولاد (عوص) و (حول) و (ماش) و (كيثر)^١ . ولم تذكر التوراة ولدآ لهؤلاء الأبناء الأربعة ، فالأولاد الذين ذكرهم أهل الأخبار ، على أنهم ولد (عوص) و (كيثر) (غائر) (كائر) ، هم هبة من الأخباريين قدموها الى هذين الأخوين .

وأما (لود) الذي صار (لاوذ) ، عند أهل الأخبار ، فإن آراء الباحثين في التوراة مختلفة في المراد منه . وقد ظن بعضهم أنه جد (اللوديين) ، وذكر هؤلاء (اللوديين) مع (كوش) و (فوط) ، و بين (فارس) و (فوط) . وأما (لود) أبوهم ، فإنه ابن (مصرايم) أي مصر^٢ . ويحملنا هذا على التفكير في أنهم شعب من شعوب إفريقية . ولكن هذا الرأي يخالف ما جاء عن (لود) من أنه ابن (سام) ، وأنه شقيق لإخوته المذكورين الذين تقع أملاكهم في الهلال الخصيب ، ومقياساً على هذه المواضع يجب أن يكون ملكه في هذه الأرضين أيضاً . ومهما يكن من شيء ، فإن آراء العلماء متباينة في مواضع نسله ، ولم ينوه أحد منهم أنها في جزيرة العرب^٣ .

وأما عوص ، فإن آراء العلماء متباينة كذلك في المكان المنسوب اليه ، فذهب بعضهم الى أن أرض (عوص) يجب أن تكون على تخوم (ايدوم)^٤ أو تخوم العربية الشمالية ، وذهب بعض آخر الى أنها المناطق التي على نهر الفرات ، وذهب بعضهم الى أنها في منطقة (حوران) وذهب بعض آخر الى أنها أرض (دمشق) و (اللجاة) (اللجاء)^٥ ، وذهب آخرون الى أنها في الحجاز أو في نجد^٦ . ورأى بعض أهل الأخبار أن منزل (عوص) هو (الأحقاف)^٧ .

-
- | | | | | |
|---|---------------------------------------|--------------------|----------|------|
| ١ | « عوص » Uz | « حول » Hul | ماش Mash | كيثر |
| | — كائر — جائر — غائر — Gether | | | |
| | التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣ . | | | |
| ٢ | « مصرايم » Mizraim | | | |
| ٣ | قاموس الكتاب المقدس (٢٩٩/٢) ، | Hastings, P., 557. | | |
| ٤ | « ايدوم » (Idumaea) (Edom) | | | |
| ٥ | Trachonitis | | | |
| ٦ | قاموس الكتاب المقدس (١٢٦/٢) ، | Hastings, P., 956. | | |
| ٧ | الطبري (٢٠٦/١) ، « دار المعارف » . | | | |

وأرض (عوص) هي موطن (أيوب) الشهير صاحب السفر المعروف باسمه ، والذي ورد ذكره في القرآن الكريم ، وضرب به المثل في الصبر .
وأكاثر (جائر) (Gether) ، فلا يعلم من أمره شيء^١ ، ويجب أن تكون مواطن (الكاثريين) في الهلال الخصيب ، أو في بادية الشام ، أو في التخوم الشمالية لجزيرة العرب ، وذلك نظراً لوروده مع (عوص) و (ماش) .
وقد جعل أهل الأخبار (النبط) من نسل (نبط بن ماش) ، وجعلوا أهل الجزيرة والعال من ولد (ماش) كذلك^٢ . أما النبط في التوراة ، فإنهم (نبيوت)^٣ نسبة الى الابن الأكبر لأبناء (اسماعيل) المسمى بـ (نابت) عند أهل الأخبار وليس لـ (ماش) علاقة به وبالنبط . وأما (ماش) ، فإنه كناية عن موضع سكنه جماعة عرفوا بهذا الاسم ، لعله (بادية ماش) (صحراء ماش) المذكورة في الكتابات الآشورية ، وهي في البادية الكبيرة المسماة (بادية الشام)^٤ .

العرب البائدة :

ونحن جرياً مع عادة أهل الأخبار في تقسيم العرب الى الطبقات الثلاث المذكورة ، نبدأ بذكر الطبقة الأولى من طبقات العرب ، وهي طبقة العرب البائدة .
وقد شك كثير من المستشرقين في حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة ، فعدّها بعضهم من الأقوام الخرافية التي ابتدعتها خيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهة لها أو قريبة منها في اللغات القديمة أو في الكتب الكلاسيكية ، وقد اتضح الآن أن في هذه الأحكام شيئاً من التسرع ، إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ، ومن الحصول على بعض

١ Hastings, P., 292.

٢ الطبري (٢٠٧/١) .

٣ « نبيوت » ، Nebaloth

٤ التكوين ، الاصحاح الخامس والعشرين ، الآية ١٣ ، أخبار الأيام الاول ،

الايام الاول ، الاصحاح الاول ، الآية ٢٩ ، Hastings, P., 648.

٥ التكوين ، الاصحاح العاشر ، الآية ٢٣ ، أخبار الأيام الاول ، الاصحاح

الاول ، الآية ١٧ ، Hastings, P., 590.

المعلومات عنها ، ومن حلّ رموز بعض كتاباتهم مثل الكتابات التمودية . وقد اتضح أن بعض هذه الأقوام أو أكثرها قد عاشوا بعد المسيح ولم يكونوا معنيين في القدم على نحو ما تصور الرواة . ولعلّ هذا كان السبب في رسوخ أسمائهم في مخيلة الأخباريين .

وأبدأ الآن بالتحدث عن (عاد) :

عاد : وإذا جاربنا الأخباريين ، وسرنا على طريقتهم في ترتيب الشعوب العربية ، وجب علينا تقديم طسم وعمليق وأميم وأمثالهم على عاد وثمود ؛ لأنهم من أبناء (لاوذ بن سام) شقيق (إرم) ، وعاد وثمود من حفدة (إرم بن سام) . ولكن الأخباريين يقدمون عاداً على غيرهم ، ويبدؤون بهم ، وهم عندهم أقدم هذه الأقوام ، ويضربون بهم المثل في القدم^١ . ومثلهم في ذلك مثل أخباريي العبرانيين الذين عدّوا العالقة أول الشعوب^٢ . ولعل هذه النظرية تكونت عند الجاهليين من قدم عاد ، أو من ورود اسم عاد في القرآن الكريم في سورة الفجر^٣ ثم هجيء اسم (ثمود) بعد ذلك . ولهذا صاروا إذا ذكروا (عاداً) ذكروا (ثموداً) بعدها في الترتيب . فلورودهما في القرآن الكريم قدما على بقية الأقوام .

وقد أورد (الطبري) ملاحظة مهمة عن قوم (عاد) وعن رأي أهل الكتاب فيهم ، إذ قال : « فأما أهل التوراة ، فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا ثمود ولا لهود وصالح في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية ، والإسلام كشهرة إبراهيم وقومه^٤ » . ويظهر من ذلك أن المسلمين حينما راجعوا اليهود يسألونهم علمهم عن عاد وأمثالهم ، أخبروهم بعدم وجود ذكرهم في التوراة . والواقع أن التوراة لا علم لها فيهم . فأحاديث عاد وثمود وهود وصالح إنما هي أحاديث عربية ، تحدث بها الجاهليون ، وليس لها ذكر في كتب يهود ، ولكن أهل الأخبار ربطوا مع ذلك بينها وبين التوراة ، وأوجدوا لها صلة ونسباً

١ ومنهم من رأى أنهم أبناء « إرم » اللسان (٢٨٠/١٤)

٢ التكوين ، الأصحاح الرابع والعشرون ، آية ٢٠ ، قاموس الكتاب المقدس (١١٣/٢)
Hastings, P., 24.

٣ سورة الفجر ، رقم ٨٩ ، الآية ٦ فما بعدها .

٤ الطبري (٢٣٢/١) .

بأسماء أعيان وردت في التوراة . ولكن عملهم هذا لا يخفى بالطبع على من له وقوف على التوراة .

وأكثر هذه الأقوام متأخرة عاشت بعد الانتهاء من تدوين التوراة ، عاشت بعد الميلاد في الغالب ، ولعل منها من عاش الى عهد غير بعيد عن الإسلام . ثم إن التوراة والكتب اليهودية الأخرى لم تهتم إلا بالشؤون التي لها علاقة بالعبرانيين ، وهي ليست كتباً في التواريخ العامة للعالم حتى تكتب عنهم وعن أمثالهم من قبائل . أما بقاء أخبار قوم عاد ومن كان على شاكلتهم من العرب البائدة في ذاكرة أهل الأخبار ، فلأنهم عاشوا بعد الميلاد ، وفي عهد غير بعيد عن الإسلام ، ومع ذلك ، فقد أخذت أخبارهم طابع القصص والأساطير . وقد ذهب بعض أهل الأخبار الى أن عاداً هي (هـدورام) في التوراة^١ . ودليلهم على ذلك اقتران عاد بإرم في الكتب العربية ، وبعض القراءات التي قرأت (بعاد إرم) في الآية : « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العباد^٢ » على الإضافة ، أو مفتوحتين ، أو بسكون الراء على التخفيف ، أو بإضافة إرم الى ذات العباد . وبين (عاد إرم) و (هـدورام) تشابه كبير في النطق^٣ .

ولكن التوراة تشير الى أن (هـدورام) من نسل (يقطان) ، أي قحطان في الكتب العربية ، وهذا لا يستقيم مع الروايات . ويرد (جرجي زيدان) على هذا الاعتراض بقوله : « ولعل كاتب سفر الخليفة رأى مقر تلك القبيلة في بلاد اليمن ، فقال انها من نسل قحطان ، لأن مقام عاد في الأحقاف بين حضرموت واليمن . وكثيراً ما التبس علماء التوراة في هـدورام أو هادرام ومقر نسله ، ولم يهتدوا الى شيء عنه ، مع أنهم اهتدوا الى أماكن أكثر أبناء قحطان ، وكلها بجوار الأحقاف ، فعاد هي (هـدورام) في التوراة . ولما أن يكون كاتب سفر الخليفة أراد بيان القبائل التي سكنت اليمن ، وكلها ينسب الى قحطان ، فرأى عاد إرم في جملتها ، فجعله من أولاد قحطان وبعبارة أخرى : من القبائل

١ التكوين ، الأصحاح العاشر ، الآية ٢٧ ، أخبار الأيام الاول ، الأصحاح

الاول ، الآية ٢١ ، الاكليل (١٦٢/٨) .

٢ سورة الفجر ، الآية ٦ فما بعدها .

٣ الهلال : الجزء الثالث والعشرون ، السنة السادسة ، آب ١٨٩٠ م (ص ٨٩٠)

المتفرعة عن قبيلة قحطان . وإما أن يكون بالحقيقة من نسل قحطان. وهم العرب في نسبه الى آرام^١ .

ورأى (فورستر) وجود صلة بين (عادة) ، وهو اسم زوجة (لاملك) ، وبين (عاد) ، وهي والددة (يابال) الذي كان أباً لسكان الحيام ورعاة المواشي^٢ ، ونسلها من الأعراب . وقوم عاد من الأعراب كذلك . وذهب أيضاً الى أن هؤلاء هم Oaditae وهو اسم (قوم ذكرهم (بطليموس)^٣) على أنهم كانوا يقيمون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب^٤ ، ولعلمهم كانوا يقيمون عند موضع (بئر لرم) ، وهي من الآبار القديمة في منطقة (حسمى) على مقربة من جبل يعرف بهذا الاسم في ديلر جندام بين أيلة وتيه بني اسرائيل^٥ . ولا يبعد هذا الموضع عن أماكن ثمود الذين ارتبط اسمهم باسم عاد . وقد أيد هذا الرأي (شبرنكر) وجماعة من المستشرقين ، وهو أقرب الآراء الى الصواب .

وذهب الأخباريون الى وجود طبقتين لقوم عاد هما : عاد الأولى ، وعاد الثانية ، وكانت عاد الأولى ، في زعم أهل الأخبار ، من أعظم الأمم بطشاً وقوة ، وكانت مؤلفة من عدة بطون تزيد على الألف ، منهم : رقد، ورمل ، وصد، والعبود^٦ . والظاهر أن فكرة وجود طبقتين لعاد قد نشأت عند الأخباريين من الآية : « وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثمودَ فما أبقي^٧ » ، فتصوروا وجود عاد ثانية ، قالوا انها ظهرت بعد هلاك عاد الأولى^٨ .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن (عاداً الأولى) ، هو (عاد بن عاديا ابن سام بن نوح) ، الذين أهلكهم الله ، وأوردوا في ذلك بيت شعر ينسب

١ المصدر نفسه .

٢ التكوين ، الاصحاح الرابع ، الآية ٢٠ .

٣ Forster, Vol., 2, P., 32 ff.

٤ Forster, Vol., 2, P., 32, Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger Geogra. S. 207.

٥ البلدان (١٩٦/١) ، صفة (ص ١٢٩)

٦ Enc., Vol., I, P., 121, Sprenger, S., 207, Wensink und J H Kramers, Handwörterbuch des Islam, Leiden, 1941, S. 13,

وسأرمز اليه ب : Wensink

٧ الهلال : الجزء نفسه ، (ص ٨٩١) .

٨ سورة النجم ، سورة رقم ٥٣ ، الآية ٥ . فما بعدها .

٩ ابن خلدون (٢٠/٢) .

الى (زهير)^١ . وأما عاد الأخيرة ، فهم (بنو تميم) ويتزلون برمال عالج^٢ .
 وذهب الطبري الى أن عاداً الأولى ، هم نسل بن عوص بن لرم بن سام
 ابن نوح^٣ ، وأن عاداً الأخيرة هم رهط قيل بن عثر ، ولقيم بن هزال
 ابن هزيل بن عثيل بن صد بن عاد الأكبر ، ومرشد بن سعد بن عفير ،
 وعمرو بن لقيم بن هزال ، وعامر بن لقيم ، وعمرو بن لقيم بن هزال ،
 وكانوا في أيام (بكر بن معاوية)^٤ صاحب (الجرادتين) ، وهما قيتان له
 تغنيان^٥ . وقد هلكوا جميعاً الا (بني اللوذية) ، وهم (بنو لقيم بن هزال
 ابن هزيل بن هزيلة ابنة بكر) ، وكانوا سكاناً بمكة مع أخوالهم (آل بكر
 ابن معاوية) ، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الأخيرة ، ومن كان من
 نسلهم الذين بقوا من عاد^٦ .

وجعل بعض أهل الأخبار عدد قبائل عاد ثلاث عشرة قبيلة^٧ ، ذكروا منها :
 (رقد) و (زمل) و (صد) و (العبود)^٨ .

وجعلها (الهمداني) أحد عشر قبيلة وهي : العبود ، والخلود ، وهم رهط
 هود النبي المرسل ، وفيهم بيت عاد وشرفهم ، وهم بنو خالد . وقيل :
 بنو مخلد ، وبنو معبد ، ورقد ، وزمر وزمل ، وضد وضمود^٩ ، وجاهد ،
 ومناف ، وسود ، وهو جد^{١٠} .

وقد ذهب العلماء لمذاهب في تفسير المراد من (لرم ذات العباد) في الآية :
 (ألم ترَ كيف فعل ربك بعادٍ ، لرمَ ذات العباد)^{١١} فذهب بعضهم الى أن

- ١ « واهلك لقمان بن عاد وعاديا » ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، اللسان (٣١٧/٤) .
- ٢ اللسان (٣١٧/٤) .
- ٣ الطبري (٢١٦/١) « طبعة دار المعارف » .
- ٤ الطبري (٢١٩/١) « دار المعارف » ، وورد « معاوية بن بكر » في رواية أخرى .
- ٥ الطبري (٢٢١/١) وما بعدها .
- ٦ المصدر نفسه .
- ٧ المعارف (١٤) .
- ٨ تأمرنا لتترك آل رقد وزمل وال صد والعبود الطبري (٢٢١/١) « دار المعارف » .
- ٩ « ضد » و « ضمود » ، هكذا ضبط محقق الاكليل (٨٧/١) ، اللفظتين ، وقد ضبطتا بحرف « الصاد » « صد » و (صمود) ، أكثر المؤلفات الاخرى .
- ١٠ الاكليل (٨٧/١) .
- ١١ سورة الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، الآية ٦ فما بعدها ، اللسان (٢٨٠/١٤) .

(إرم ذات العباد) مدينة في (تيه أبين) بين عدن وحضرموت ، وذهب آخرون الى أنها دمشق^١ أو الإسكندرية^٢ . والذي دعاهم الى هذا الرأي - على ما أرى - هو كثرة وجود المباني ذوات العباد في هاتين المدينتين وما عرف عنها من القدم ، فوجد الأخباريون فيها وصفاً ينطبق على وصف إرم ذات العباد^٣ . وقد خلقت (باب جيرون) من أبواب دمشق قصة (جيرون بن سعد ابن عاد) الذي قالوا فيه إنه كان ملكاً من ملوكهم ، وإنه الذي اختط مدينة دمشق ، وجمع عمد الرخام والمرمر إليها ، وسماها (إرم)^٤ .

وهناك مناسبة أخرى جعلت بعض العلماء يذهبون الى أن دمشق هي (إرم) أو (إرم ذات العباد) ، فقد كانت دمشق - كما هو معروف - من أهم مراكز الإرميين (الآراميين) ، وكانت عاصمة من عواصمهم . ولهذا السبب أيضاً قال نفر من الباحثين إن (إرم) تعني (أرام) ، وأن عاداً من (الآراميين) ، وأن (عاد إرم) إنما تعني (عاد أرام) ، فالتبس الأمر على المؤرخين وظنوا أن ذات العباد صفة ، فزعموا أنها مدينة بناها عاد^٥ . غير أنه قول لا يؤيده دليل يثبت أن (إرم) في هذا الموضع تعني (أرام)^٦ . ومن الجائز أن تكون (إرم ذات العباد) هي التي أوحى الى النسابين فكرة جعل (عاد) من نسل (عوص بن ارم) ، لتشابه اسم (أرام) و (ارم) عند العرب التي هي (آرام) فأصبحت عاد من الإرميين .

١ الاكليل (٣٣/٨) ، « طبعة نبيه » ، صفة (٨٠) ، البكري (١٤٠/١) « طبعة السقا » ، منتخبات (٢) ، سبائك الذهب ، للسويدي (١٥) .

٢ البلدان (١٩٧/١) ، منتخبات (٢) ، مروج (٤٢٠/٢) فما بعدها ، « طبعة مينارد » ، Meynard

BOASOR, Number 73, February, 1939, p., 13, Koranic Iram, Legendary and Historical, by, Harold W. Glidden.

٣ « والعجم تذكر ان ارم ذات العباد بدمشق ، وان جيرون بن سعد بن عاد بنى مدينتها ، وسماها جيرون ذات العباد ، لكبر اعمدة حجارتها » ، الاكليل (٣٣/٨) « طبعة نبيه » .

٤ ابن خلدون (١٩/٢) ، السعودي ، مروج (٤٢٠/٢) الاكليل (٣٣) « طبعة نبيه » BOASOR, Number 73, P., 13, (1939).

٥ « وكان يقال لعاد في دهرهم عاد ارم » ، الطبقات (١/١ ص ١٩) ، البكري ، معجم (٤٨/١) .

Enc., Vol., I, P., 121. ٦

ويرى بعض المستشرقين أن الذي حمل الأخباريين على القول إن (الإسكندرية) هي (إرم ذات العماد) ، هو أثر قصص الإسكندر في الأساطير العربية الجنوبية ذلك الأثر الذي نجده في كتب القصص اليابانيين ، في مثل كتاب (التيجان) المنسوب إلى وهب بن منبه ، وفي الرواية اليابانية . وقد حاول الإسكندر كما نعرف احتلال اليمن ، فغدا (شداد بن عاد) بانياً للإسكندرية ، وأصبح (الإسكندر) مكتشفاً لها^١ .

وقد فسر العلماء لفظة (إرمي) الواردة في بيت الحارث بن حنظلة اليشكري :

إِرْمِيّ بِمِثْلِهِ جَالَتْ الْجَنِّ قَابَتِ لِحَصْمِهَا الْأَجْلَاءِ

بأنها نسبة إلى (إرم عاد) في قدم ملكه ، وقيل في حلمه^٢ . ونسب بعض أهل الأخبار لـ (عاد) ولدأ ، دعوه (شداداً) قالوا : إنه كان قوياً جباراً ، سمع بوصف الجنة ، فأراد بناء مدينة تفوقها حسناً وجمالاً ، فأرسل عماله ، وهم : (غسانم بن علوان) ، و (الضحاك بن علوان) ، و (الوليد بن الريان) ، إلى الآفاق ، ليجمعوا له جميع ما في أرضهم من ذهب وفضة ودرّ وياقوت ، فابتنى بها مدينته ، مدينة (إرم) باليمن ، بين حضرموت وصنعاء ، ولكنه لم ينعم بها إذ كفر بالله ، ولم يصدق بنوة (هود) ، فهلك . وتولى من بعده ابنه (شديد)^٣ .

وزعم بعض النسابين أن نسب (شداد) هو على هذه الصورة : (شداد ابن عمليق بن عويج بن عامر بن إرم) ، فأبعده بذلك عن (عاد) . وقيل في نسبه غير ذلك^٤ .

ويفهم من القرآن الكريم أن مساكن (عاد) بالأحقاف ، (واذكر أبا عاد ، إذ أنذر قومه بالأحقاف)^٥ . والأحقاف : الرمل بين اليمن وعمان إلى

١ BOASOR, Number, 73, P., 13., (1939).

٢ المعاني الكبير (٨٢٦/٢) .

٣ وقيل أخوه ، البلدان (١٩٨/١) ، « يقول اليمانية وأكثر العلماء في البلاد : أن إرم ذات العماد في تيه آيين ، وهو غائط بين حضرموت وبين آيين » ، الأكليل (٣٣/٨) .

٤ « عويج » ، البلدان (١٩٩/١) .

٥ سورة الأحقاف ، سورة رقم ٤٦ ، الآية ٢١ ، اللسان (٣٩٨/١٠) .

حضر موت والشحر^١ . وديارهم بالدو^٢ والدهناء وعالج وويرين ووبار الى عمان الى حضر موت الى اليمن . وقد اندفع أكثر الأخباريين يلتمسون مواضعهم في الصحارى ، لأنها أنسب المواضع التي تلائم مفهوم الأحقاف ، فوضعوا من أجل ذلك قصصاً كثيراً في البحث عن مواطن عاد وقبور عاد، ورووا في ذلك كثيراً من قصص المغامرات التي تشبه قصص مغامرات لصوص البحر^٣ .

وفي بعض الأخبار : أن (عاداً) لحقت بالشحر ، فسكنت به، وعليه هلكوا بوادٍ يقال له (مغيث) . فلحقته بعد (مهرة) بالشحر^٤ . وقد سبق أن قلت : إن Oaditae الذين ذكرهم (بطلميوس) هم قوم (عاد) ، وإنهم كانوا يسكنون في الأرضين الشمالية الغربية من جزيرة العرب في منطقة (حسمى) ، أي في أعالي الحجاز ، وعلى مقربة من مناطق ثمود . وهو أقرب الى الصواب ، إذ اقترن ذكر عاد في القرآن بذكر (ثمود الذين جابوا الصخر بالواد)^٥ . (حسمى) أقرب الى هذا الوصف من الرمال . ولم يعين القرآن موضع الأحقاف ، وإنما عينه المفسرون ، ولا يحتم تفسيرهم تخصيص الأحقاف بهذا المكان ، حيث جعلوا رمال (وبار) في جملة المناطق التي كانت لعاده .

وقد ذهب (موريتس) الى أن موضع (Aramaua) الذي ورد عند (بطلميوس) ، وهو (لإرم) ، أو (لإرم ذات العماد) . ويقال له الآن (رم)^٦ . وقد أيد (موسل) رأى (موريتس) غير أنه لم يذهب الى ما ذهب اليه من أنه (لإرم)^٧ . وقد أظهرت الحفريات التي قام بها (المعهد الفرنسي) في القدس ، صحة هذا الرأي ، إذ ورد في الكتابات (النبطية) التي عثر عليها في خرائب معبد اكتشف في (رم) أن اسم الموضع هو (لإرم)^٨ . فيتضح من

١ ابن خلدون (١٩/٢) ، « والحقف وجمعه احقاف ، وهي الرمال . وكانت الاحقاف رمالا قبل عمان الى حضر موت . قال : وكانت منازل عاد » ، المفضليات (١٥) ، « والاحقاف : رمال بأعبانها في اسفل حضر موت » ، منتخبات (٢)

٢ المعارف (١٤) .

٣ الطبري (٢٠٨/١) « دار المعارف » .

٤ الفجر ، سورة رقم ٨٩ ، آية ٩ .

٥ ديوان الطرماح ، « طبعة كرتكو » ، (١٤٨) .

٦ B. Moritz, Ausflüge in der Arabia Petraea, in MFOB, III, S. 395.

٧ Musil, The Northern Hegaz, P. 273, BOASOR, Number, 73, P. 15 (1939).

٨ BOASOR, Number, 73, P. 15, (1939).

ذلك أن هذا الموضع حافظ على اسمه القديم، غير أنه صار يعرف أخيراً بـ (رم) بدلاً من (لرم) .

وفي سنة ١٩٣٢ قام (هورسفيلد) Horsfield من دائرة الآثار في المملكة الأردنية الهاشمية بحفريات في موضع جبل (رم) ، ويقع على مسافة (٢٥) ميلاً الى الشرق من العقبة ، ويقع المكان الذي بحث فيه عند واد ، وعلى مقربة منه (عين ماء) ، ووجد في جانب الجبل آثاراً جاهلية قديمة . وقد حملت اكتشافاته هذه واكتشافات (سافينياك) Savignac واكتشافات (كليدن) H. W. Glidden على القول : إن هذا المكان هو موضع (لرم) الوارد ذكره في القرآن، والذي كان قد حل به الخراب قبل الإسلام ، فلم يبق منه عند ظهور الإسلام غير عين ماء كان يتزل عليها التجار وأصحاب القوافل الذين يمرون بطريق الشام - مصر - الحجاز^٢ .

وذكر (ياقوت الحموي) اسم مكان سمّاه (جش لرم) ، قال عنه : إنه اسم جبل عند (أجا) أحد جبلي طيء ، أملتس الأعلى ، سهل ترعاه الإبل، وفي ذروته مساكن لعاد ولرم ، فيه صور منحوتة من الصخر^٣ . ففرق (ياقوت) هنا بين عاد ولرم ، وجعلهما قومين : قوم عاد وقوم لرم ، وقد تكون الواو بين الكلمتين زيادة من الناسخ، فيبطل حينئذ الاستدلال على تفريق ياقوت بينهما . وفي الكتب العربية أسماء محلات أخرى قديمة عثر فيها على نقوش وتماثيل، وصفت أنها من مساكن قوم عاد .

وبالإضافة الى المواضع التي أشير فيها الى (عاد) في القرآن الكريم^٤ ، فقد أشير اليهم في الشعر الجاهلي كذلك في شعر طرفة^٥ وفي شعر النابغة^٦ وفي شعر

١ BOASOR, Number 73, P 14, (1939), Revue Biblique, XLI, (1932), PP. 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (1934), PP., 572, XLIV, (1935), PP. 245.

٢ BOASOR, Number 73, P. 15, (1939).

٣ بالفتح والضم ثم التشديد ، النجفة وفيه ارتفاع ، البلدان (١٠٧/٣) .
٤ سورة الحج ، رقم ٢٢ ، آية ٤٢ ، سورة الحاقة ، ٦٩ ، آية ٦٤ ، سورة الفرقان ، ٢٥ ، آية ٣٨ ، سورة فطت ، ٤١ ، آية ١٣ ، سورة الاعراف ، ٧ ، آية ٦٥ ، سورة هود ، آية ٥٠ .

٥ طرفة ٨ ، ١ ، Enc., Vol., I, P. 121.

٦ أحلام عاد وأجساد مطهرة من المعنة والافات والائس

ديوان النابغة مع شرحه للبطلبيوسي (٧٤) ،

البطلبيوسي (٧٤) ، Enc., Vol., I, P. 121.

زهير^١ وفي شعر المهذلين^٢ ، وفي شعر طفيل بن عوف الغنوي^٣ ، وفي شعر (متمم بن نويرة) شقيق (مالك بن نويرة) ، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام^٤ ، وفي شعر (أمية بن أبي الصلت) ، وهو ممن عاش في أيام الرسول كذلك^٥ ، وفي شعر غيرهم من الشعراء الجاهلين المخضرمين^٦ .

وورد في شعر لزهير بن أبي سلمى (أحر عاد)^٧ ، وضرب المثل بشؤم أحر عاد ، فقيل : أشأم من أحر عاد^٨ . وجعل الشاعر (أبو خدّاش الهذلي) (كليب وائل) كأحر عاد في الشؤم ، وذلك بسبب الحرب التي هاجت بين

- ١ فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، البيت ٣٢ ، Enc., I, P., 121.
- ٢ ديوان المهذلين ، IXXX, 6 ، ٣١ ، ديوان هذيل ، ٥٣١
- ٣ شعر طفيل بن عوف الغنوي ، رواية أبي حاتم السجستاني عن الأصمعي (طبعة لوزاك ١٩٢٧) ، سلسلة « كب » بعناية « ف . كرتكو » ، (ص ١٣٥ ، ١٤٨) .
« لنا الجبلان من أرمّان عاد » .
- ٤ أفنين عاداً ثم آل محرق فتركهم بلداً وما قد جمعوا
شرح المفضليات (ص ٧٨) ، (٢٤/٢) ، ملحوظة ٤٠ ، المفضليات (ص ١٤)
« طبعة السندوبى » .
- ٥ فقال : ألا تجزعي وتكذبني ملائكة من رب عاد وجرهم
ديوان « أمية بن أبي الصلت » ، « طبعة بشير يموت » (ص ٥٨) ، بيروت ١٩٣٨
Friedrich Schulthess, Uman Ibn Abi-Salt, Leipzig, 1911, S. 48.
- ٦ سويد بن أبي كاهل :
غلبت عاداً ومن بعدهم فابت بعد فليست تتضع
المفضليات (٤٠٤) ، قول « صريم بن معشر بن ذهل » الملقب بأفنون من شعراء الجاهلية :
لو أنني كنت من عاد ومن أرم ربيت فيهم ولقمان ومن جلدن
المفضليات (ص ٥٢٥) ، وقال الطرمّاح بن حكيم :
لنا الجبلان من أرمّان عاد ومجتمع إلا لاة والفضاة
ديوان الطرمّاح (ص ١٣٥) ، (سلسلة كب) ، لندن ١٩٢٧ ، بعناية « كرتكو » .
- ٧ فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم
معلقة زهير ، بيت ٣٢ .
- ٨ الامثال (ص ١١) ، « طبعة حيدر آباد الدكن » ، ابن قتيبة الدينوري ، المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .

بكر وتغلب^١. وقد نص (ابن قتيبة الدينوري) على أن المراد من (أحر عاد) (أحر ثمود) الذي عقر الناقة^٢.

وبدل ورود خبر (عاد) في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي على أن القصة كانت شائعة بين عرب الجاهلية معروفة عندهم ، وأنهم كانوا يتصورون أن قوم (عاد) كانوا من أقدم الأقسام ، ولذلك ضُرب بقدمهم المثل حتى إنهم كانوا ينسبون الشيء الذي يريدون أن يبالغوا بقدمه ، الى عاد ، فيقولون إنه (عادي). وإذا رأوا أثراً قديماً أو أطلالاً قديمة عليها نقوش لا يعرفون صاحبها ، قالوا إنها عادية ، أي من أيام عاد^٣. وإذا رأوا بناءً قديماً لا يعرفون صاحبه ، قالوا إنه بناء عادي^٤. وقد تحدث (المسعودي) عن أشجار عادية ، أي قديمة جداً^٥. ولهذا السبب رأى (ولهوزن)^٦ أن كلمة (عاد) لم تكن اسم علم في الأصل ، بل كان يراد بها القدم ، وأن كلمة (عادي) تعني منذ عهد قديم جداً ، وكذلك كلمة (من عاد) أو (من العاد) ، أو من (عهد عاد). وإن المعنى هو الذي حمل الناس على وضع تلك الأساطير عن أيام (عاد)^٧.

وقد جعل بعض الشعراء أيام (عاد) من أوليات الزمان ، التي جاءت بعد (نوح)^٨ وجعل بعض آخر لفظة (إرمي) ، بمعنى (عادي) ، أي قديم

- ١ المعاني الكبير (١٠٢٣/٢) .
- ٢ المعاني الكبير (٨٧٩/٢ ، ١٠٢٣) .
- ٣ لعادية من السلاح استعرتها
وكان بكم فقر إلى الفدر أو عدم
المفضليات (ص ٦١٣) ، « والعادي الشيء القديم » ، اللسان (٣١٧/٤) ،
الحماسة « طبعة فرايتاغ » Freytag (١٩٥/١ ، ٣٤١) ،
Causin de Perceval, Essai, Vol, I, P. 259, Blochet, Le Culte D'Aphrodite.

٤ Sprenger, Das Leben, Bd., I, S., 512.

٥ المصدر نفسه .

- ٦ قال أبو دواد الأيادي :
الا ابلغ خراعة أهل مر
تركنا دارهم لثأرنا
التنبية والإشراف (ص ١٧٥) ، « طبعة الصاوي » .

Wensieck, P., 13.٧

- ٨ وقال بعض طيء :
وبالجبليين معقسل
ملكناه في أوليات الزمان
صعدنا إليه بسمر الصعاد
من بعد نوح ومن قبل عاد
الأكليل (٩٠/١) .

كأنه من عهد إرم وعاد ، أو كأنه في الحكم من عاد^١ .
وقد ضرب المثل في القرآن الكريم بقدم (قوم نوح) وقوم (عاد وثمود)
حتى إن أخبارهم خفيت عن الناس فلا يعلمها إلا الله : (ألم يأتهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) ، وفي
ذلك دلالة على أن الناس في أيام الرسول كانوا يرون أن الأقوام المذكورة هي
من أقدم الأقوام ، ولهذا ذكروا بهم للاعتاظ^٢ .

وقد ورد ذكر عاد في الكتاب الذي وجهه (يزيد بن معاوية) الى أهل
المدينة يهددهم فيه بمصير يشبه مصير (عاد وثمود) ، حيث يتزل بهم عقاباً
شديداً ويصيرهم حديثاً للناس ، (واترككم أحاديث تنسخ بها أخباركم مع أخبار
عاد وثمود)^٣ . وقال (سبيع) لأهل اليمامة : « يا بني حنيفة بعداً كما بعدت
عاد وثمود »^٤ .

وضرب المثل برجل من (عاد) اسمه (ابن بيض) ، زعموا أنه كان من
عاد ، وكان تاجراً مكثراً عقر ناقة له على ثنية ، فسد بها الطريق على السابلة ،
فضرب به المثل^٥ .

وزعم أهل الأخبار أن رجلاً غنياً من بقية (عاد) اسمه (حمار) كان متمسكاً
بالتوحيد ، فسافر بنوه ، فأصابتهم صاعقة فأهلكتهم ، فأشرك بالله وكفر بعد
التوحيد ، فأحرق الله أمواله وواديه الذي كان يسكن فيه فلم ينبت بعده شيء .
ويزعمون أن (امرأ القيس) الشاعر ذكر ذلك الوادي في شعر له^٦ .
ويذكر أهل الأخبار أن المكان الذي كان فيه (حمار) المذكور هو (جوف) ،
وهو موضع في ديار عاد ، وقد نسب إليه ، فقيل (جوف حمار) ، نسبة الى

١ الاكليل (٨٩/١ وما بعدها) .

٢ التنبيه والاشراف (ص ٨٢) .

٣ عيون الاخبار ، لابن قتيبة (٢٠٢/١) .

٤ المصدر نفسه (٢٣٣/١) .

٥ ورد في شعر بشامة بن عمرو :

كثوب ابن بيض وقاهم به

المفضليات (ص ١٦) « طبعة السندوبي » .

٦ ووداد كجوف العير قفر قطعته به الذئب يعوي كالخليع المعيل

سرح المعلقات السبع ، للزوزني ، (ص ٢٨) « طبعة دار صادر » .

(حمار بن مويلع) ، فلما أشرك بالله وكفر ، أرسل الله ناراً عليه فأحرقتة وأحرقت الجوف أيضاً ، فصار ملعباً للجن لا يستجريء أحد أن يمر به ، والعرب تضرب به المثل ، فتقول : (أخل من جوف حمار)^١ .

هود :

ويرد مع قوم (عاد) ذكر نبي منهم ، هو (هود) ، وقد نعت في القرآن الكريم بـ (أخي عاد) : « وإلى عاد أخوهم هوداً ، قال : يا قوم ، عبدوا الله »^٢ . كما نعت القرآن عاداً بقوم هود : « ألا ، إن عاداً كفروا ربهم ، ألا بعبداً لعاد قوم هود »^٣ . « قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح »^٤ . وقد نسبته الناسيون إلى (الخلود بن معيد بن عاد)^٥ ، وإلى (عبدالله بن رباح ابن جابوب بن عاد بن عوص بن لرم)^٦ ، وإلى (عبدالله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن لرم)^٧ ، ومن أهل الأنساب من زعم أنه (عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح) ، إلى غير ذلك من روايات^٨ .

وقد وردت قصته مع قومه ونبيه لهم عن عبادة الأصنام في القرآن الكريم^٩ . وقد ضرب المثل بكفر رجل من عاد ، اسمه (حمار) ، فقييل : (أكفر من حمار) ، قالوا : « هو رجل من عاد ، مات له أولاد ، فكفر كفراً عظيماً ، فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه إلى الكفر ، فلإن أجابه ، والا قتله »^{١٠} . وذلك على نحو ما ذكرته عنه قبل قليل . وهي قصة واحدة ، رويت بطرق متعددة ،

- ١ البكري ، معجم (٤٠٥/١) .
- ٢ الأعراف ٧ ، آية ٦٥ ، سورة هود ، ١١ ، آية ٥٠ ، الشعراء ، ٢٦ ، آية ١٢٤ .
- ٣ هود ، ١١ ، آية ٦٥ .
- ٤ هود ، ١١ ، آية ٨٩ .
- ٥ نهاية الارب (٥٢/١٣) ، الاكلیل (٩٣/١) .
- ٦ المعارف (١٤) .
- ٧ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » .
- ٨ الطبري (٢١٦/١) ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، البداية والنهاية ، لابن كثير (١٢٠/١) .
- ٩ سورة هود ، ١١ ، آية ٦٥ ، ٧٩ ، الشعراء ، ٢٦ ، آية ١٢٤ ، الأعراف ٧ ، آية ٦٥ .
- ١٠ اللسان (٢٩٥/٥) .

تختلف في التفاصيل ، لكنها متفقة من حيث الفكرة والجوهر، وعليها طابع قصص الوعظ وأهل الأخبار . وقد ذكر أصحاب الأخبار أن غالبية (عاد) كفرت بنبوة (هود) ، ولم تؤمن به ، لهذا أصابها العذاب والهلاك . ولم ينج منهم الا من آمن بـ (هود) واتبعه وسار معه حين ترك قومه : قوم عاد .

وقد نبه المستشرقون الى وجود شبه بين هود و (هود) الواردة في القرآن أيضاً بمعنى (يهود)^١ : « وقالوا كونوا هوداً ، أو نصارى ، تهتدوا »^٢ . وأشاروا الى أن (هوداً) تعني التهود ، أي الدخول في اليهودية ، كما لاحظوا ان بعض النسابين قالوا ان هوداً هو (عابر بن شالح بن أرفكشاد) جد اليهود ، فذهبوا الى أن هوداً لم يكن اسم رجل ، وانما هو اسم جماعة من اليهود هاجرت الى بلاد العرب ، وأقامت في الأحقاف ، وحاولت تهويد الوثنيين ، وعرفوا بيهودا ، ومنها جاءت كلمة (هود)^٣ ، وانها استعملت من باب التجوز علماً لشخص^٤ .

وزعم الرواة ان هوداً ارتحل هو ومن معه من المؤمنين بعد النكبة التي حلت بقومه الكافرين من أرض عاد الى الشحر . فلما مات دفن بأرض حضرموت^٥ . ويدعي الرواة انه قبر في وادٍ يقال له (وادي برهوت) غير بعيد عن (بئر برهوت) التي تقع في الوادي الرئيسي للـسبعة الأودية^٦ . وهي من الآبار القديمة

١ اللسان (٤٥١/٤) ، القاموس (٣٤٩/١)
Enc., Vol. 2, P. 327. f., Hirschfeld, Beitrage zu Erklarung des Koran,
Leipzig, 1886, S., 17, Nota, 4.

٢ البقرة ، ٢ ، آية ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ .
٣ الهلال ، ٢٣ ، سنة ٦ ، جزء اب ، ١٨٩٨ (ص ٨٩٤) .
٤ « والهود : جمع هائد ، وهو التائب ، والهود : اليهود ، قال الله تعالى : « كونوا هودا أو نصارى » . التهويد : المشي الرويد ، وفي حديث عمران بن حصين : اذا مت فخرجتم بي فأسرعوا المشي ولا تهودوا كما تهود اليهود والنصارى » ، « وهود الانسان ولده : أي جعله على دين اليهود » ، منتخبات (ص ١١١ وما بعدها) ، Enc. Vol., 2, P., 328.

٥ « قال الواقدي : « ما يعلم موضع قبر نبي من الانبياء ، الا ثلاثة : قبر اسماعيل فانه تحت اليزاب بين الركن والبيت ، وقبر هود ، فانه في حقف من الرمل تحت جبل من جبال اليمن عليه شجرة تندى وموضعه اشد الارض حرا ، وقبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فان هذه قبورهم بحق » ، الطبقات ، القسم الاول من الجزء الاول (ص ٢٥) ، « تحقيق سخو » ، نهاية الارب (٦٠/١٣) ،
Forster, Vol., 2, PP., 374.

٦ البكري ، تاريخ حضرموت السياسي (٦٥/١) فما بعدها .

التي اشتهرت في الجاهلية بكونها شر بشر في الأرض ، ماؤها أسود منتن ، تتصاعد من جوفها صيحات مزعجة ، وتخرج منها روائح كريهة ، ولذلك تصور الناس انها موضع تتعذب أرواح الكفار فيه^١ .

ويذهب السياح الذين زاروا هذا المكان ودرسوه الى انه موضع بركان قديم ، يظهر أنه انفجر ، فأهلك من كان حوله . ويؤيد هذا الرأي ما ورد في الكتب العربية من أنه كان يسمع لهذا المكان أصوات كالرعد من مسافات ، وأنه كان يقذف ألواناً من اللحم يسمع لها أزيز رابع^٢ . ومن هنا نشأت قصة قبر هود ، وعذاب عاد في هذا الموضع ، على رأي المستشرق (فون كريبمر)^٣ .

ولا يزال هذا الموضع الذي يقال له (قبر هود) ، يزار حتى الآن ، يقصده الناس من أماكن بعيدة في اليوم الحادي عشر من شعبان للزيارة ، وربما كان من الأماكن التي كان يقدها الجاهليون^٤ .

وفي هذه المناطق آثار مدن بائدة ، وقرى جاهلية ، وتشاهد كهوف ومغاور على حافتي الوادي ، وكتابات وصور منقوشة على الصخور تدل كلها على أنها كانت من المناطق المأهولة ، وأنها تركت لسبب آفات وكوارث طبيعية نزلت بهذه الديار^٥ .

ورأى نفر من المستشرقين أن هذا المكان الذي فيه قبر (هود) هو الموضع الذي سماه الكتاب اليونان Styx أو Stygis ، والذي زعم الرومان أن قبيلتين من قبائل جزيرة (اقريطش) (كريت) وهما قبيلة Minos و (رودوماتس)

١ البلدان (١٥٧/٢) ، « خير بشر في الأرض زمزم ، وشر بشر في الأرض برهوت » ، منتخبات (ص ٧) ، « برهوت واد معروف قيل هو بحضرموت ، وفي حديث علي عليه السلام : شر بشر في الأرض برهوت . هي بفتح الباء والراء ، بشر عميقة بحضرموت لا يستطيع النزول الى قعرها . ويقال : برهوت بضم الباء وسكون الراء » ، اللسان (١٤٣/١) ، (٣١٤/٢) .

٢ تاريخ حضرموت السياسي (٦٧/١) .
٣ « ويقبض وادي ثوبة الى بلد مهرة » ، وحيث قبر هود النبي ، صلى الله عليه ، وقبره في الكتيب الاحمر ، ثم منه في كهف مشرف في أسفل وادي الاحقاف ، وهو واد يأخذ من بلد حضرموت الى بلد مهرة مسيرة ايام ، وأهل حضرموت يزورونه هم وأهل مهرة في كل وقت » ، صفة (ص ٧) .

von Kremer, Uber die Suedarabische Sage, S., 21.

٤ تاريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، Enc., Vol., I, P., 634.
٥ تاريخ حضرموت السياسي (٦٢/١) ، الهلال : الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ (ص ٦٠٥) .

Rhodomantys تركنا موطنها الأصلي، وارتحلنا الى هذا المكان الذي ضم مئات من القبائل العربية ، فكاننا من أقواها . وقد سكنا في رأيهم ، على مقربة من موضع سماه (بلينيوس) Stygis Aguniae Fossa^١ .

أما الأخباريون الذين زعموا أن (هوداً) اعتزل قومه بعد يأسه من قبول دعوته ، وأنه ذهب مع من آمن به الى مكة ، فقد ذهبوا الى أنه عاش فيها أمداً ، ثم مات هناك ، فقبره بمكة مع قبور ثمانية وتسعين نبياً من الأنبياء^٢ . وذكر جماعة أنه بدمشق في المسجد الأموي^٣ . ولعل القصص الوارد عن (دمشق) ، وأنها (لرم ذات العماد) هو الذي أوحى الى هؤلاء فكرة جعل قبر (هود) بدمشق . ومهما يكن من شيء فلإن هناك جماعة من أهل الأخبار قبرت بعض الأنبياء في هذه المدينة ، واختارت المسجد الأموي نفسه مقبرة لهم . ولعل ذلك بسبب أن هذا المسجد كان كنيسة معظمة قديمة عند أهل دمشق قبل دخولهم في الإسلام ، وكان قد قبر فيها جماعة من قديسيهم ورجال دينهم ، فلما تحولت الكنيسة الى جامع تحولت قبور هؤلاء بعواطف الناس القديمة الى قبور أنبياء . وقد ظهر مثل هذه الروايات التي تمجد الجامع الأموي في الوقت الذي تحصن فيه (ابن الزبير) بمكة ، وتحزب أهل الحجاز على الأمويين .

وقد اتخذ القحطانيون هوداً جداً من أجدادهم ، وألحقوا نسبهم به ، وتفاخروا به^٤ . فعلوا ذلك بدافع العصبية والمفاخرة على العدنانيين الذين كانوا يقولون إن فيهم الأنبياء ، ولم يكن في قحطان نبي ، فأوجد نسباً بهم نسباً يوصلهم الى الأنبياء ، كما أوجدوا لهم نسباً احتكر لهم العروبة ، وجعلهم الأصل والعدنانيون من الطارئ عليهم ، كما سيأتي الحديث عن ذلك .

١ Enc. Vol. I, P. 654, Wensinck, P. 175.

٢ أخبار مكة ، للأزرقي (٣٠/١ وما بعدها) ، Enc., Vol. 2, P. 327.

٣ رحلة ابن بطوطة (٢٠٥/١) ، (٢٠٣/٢) « طبعة باريس » .

٤ « هود النبي ، عليه السلام ، المرسل الى عاد المذكور في القرآن ، هو أبو قحطان قحطان بن هود . قال حسان :

ابونا نبي الله هود بن عابر

وهو هود بن عابر بن ارفخشذ بن سام بن نوح النبي » ، ابن خلدون (٢٠/٢) ، نهاية الارب (٥١/١٣) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلوسي (ص ٦٣ فما بعدها) التنبيه والاشراف (ص ٧١) « طبعة الصاوي » .

وإذا صح أن الشعر المنسوب إلى حسّان بن ثابت الذي افتخر فيه بانتسابه إلى (هود بن عابر) ، وبأن قومه وهم من (قحطان) منهم ، هو لهذا الشاعر حقاً ، يكون لدينا أول دليل يثبت أن هذا الانتساب كان معروفاً عند ظهور الإسلام^١ . وأن أهل (يثرب) ، وهم من الأوس والخزرج ، وهم من قحطان في عرف النسّابين ، كانوا قد انتسبوا إليه قبل الإسلام . أخذوا ذلك من اليهود النازلين بينهم ، الذين كانوا يحاولون التقرب إلى أهل يثرب ، للعيش معهم عيشة طيبة . فأشاعوا بين الناس أن (عابراً) ، وهو جد العبرانيين ، ووالد ولدين هما (فالخ) و (يقطان) كان جدّهم وجد أهل يثرب ، لأن أصلهم من يقطان ، وأن علاقتهم لذلك بهم هي علاقة أبناء عمّ بأبناء عم . ولما نزل الوحي بنجر (هود) ، وتفاخر المكّيون على أهل يثرب بالإسلام ، استعار أهل يثرب (هوداً) ، وصيروا (قحطاناً) ، أو ابناً له ، وانتسبوا إليه ، ليظهروا بذلك أنهم كانوا أيضاً من نسل نبي ، وإن نبوءة قدمّة كانت فيهم ، وقد كان (حسّان بن ثابت) من المتعصبين للأزد قوم أهل يثرب ، والأزد من قحطان ، وكان من المتباينين بين قحطان .

لقمان :

ومن قبائل عاد قبيلة كان فيها (لقمان) الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وفي الشعر الجاهلي وفي القصص^٢ . وقد ضرب به المثل بطول العمر ، فعُدّ في طليعة المعمرين^٣ ، وعدّه (أبو حاتم السجستاني) ثاني المُعَمَّرين في العالم بعد

١ « أبونا نبي الله هود بن عابر » ، وسأتكلم عن ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب وعندي أنه متحول ، وأنه حمل عليه .

٢ سورة لقمان ، تفسير الطبري (٣٩/٢١) « القاهرة ١٣٢١ هـ » ، قال صريم بن معشر بن ذهل المعروف بـ « أفنون » :

لو أنني كنت من عاد ومن أرم
ربيت فيهم ولقمان ومن جدن
المفضليات (ص ٥٢٥) ، ديوان النابغة مع شرحه للبطلوسي (ص ٧٥) .
نمين فلا له في سوق راس
إلى لقمان في سوق مقام
البيان والتبيين (٢٣/١)

٣ Enc., Vol., 3, P. 35, Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie, S. 2, Leiden, 1899, Rene Basset, Loqman Berbere, Paris, 1890, Wenstock, P. 365.

الخضر^١ . وقد كان عرب الجاهلية يعرفون قصص (لقمان) ، وكانوا يصفونه بالحكمة . وقد وُصف في القرآن الكريم بهذه الصفة : « ولقد آتينا لقمان الحكمة »^٢ . ولهذا السبب عرف بين الناس وفي الكتب بـ (لقمان الحكيم) . وذكر عنه انه كان (حكيماً عالماً يعلم الأبدان والأزمان)^٣ وانه طلب من الله أن يُعمر طويلاً فأعطاه طلبه : وُعمّر عمر سبعة أنسر ، وذكر الأخباريون أن آخر نسر أدركه ، وهلك بهلاكه اسمه (لبـد) . قالوا واليه يشير (النابغة) بقوله :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبـد^٤

وقد أكرّث العرب في صفة طول عمر النسر ، وضربت به الأمثال . ويلبد ، ويصحة بدن الغراب . وذكروا في ذلك شعراً ، منه ما نسب الى (الخارجي) في طول عمر (معاذ بن مسلم بن رجاء) ، مولى القعقاع بن حكيم :

يا نسر لقمان ، كم تعيش ، كم تلبس ثوب الحياة يا لبـد^٥ ؟
قد أصبحت دار حمير خربت وأنت فيها كأنك الوند^٦
تسأل غير بانها اذا حَجَّجْتَ كيف يكون الصداق والرمـد^٧ ؟

ويذكر أهل الأخبار ان (لقمان) قد عرف لذلك بـ (لقمان النور) ، لأنه عمّر عمر سبعة نسور^٨ . وذكر بعض أهل الأخبار انه عمّر مائة وخسين سنة ، وانه لما مات قبر بحضرموت ، أو بالحجر من مكة^٩ . وهو عمر لا يتناسب مع ما يذكره أهل الأخبار من طولهِ ، ومن انه يعادل عمر سبعة نسور . أما

١ أبو حاتم السجستاني : كتاب العمرين « طبعة كولدتزيهر » ، (ص ٢) ، Goldziher, Abhandlungen, 2, S. 2, Enc., Vol., 3, P. 35.

٢ سورة لقمان ٣١ ، آية ١٢ .

٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .

٤ الفاخر (ص ٦٨) ، الطبري (٢٢٣/١) ، « دار المعارف » ، عيون الأخبار (٥٩/٤) ، نهاية الارب (٦٠/١٣) وما بعدها ، أبو الفداء ، المختصر (٢١/١) وما

بعدها ، « دار الكتب اللبنانية » ، الكامل ، لابن الاثير ، (٤٩/١) وما بعدها .

٥ مروج الذهب (٩٢/٢) وما بعدها ، طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد .

٦ نهاية الارب (٦٠/١٣) وما بعدها .

٧ الكامل ، لابن الاثير (٤٩/١) وما بعدها .

(السجستاني) ، فجعل عمره خمسمائة سنة وستين . وهو عدد أخذه من عمر النسر المذكورة ، اذ عاش كل نسر ثمانين عاماً ، والعدد المذكور هو مجموع عمر تلك النسر السبعة . غير ان من الأخباريين من أعطاه عمراً قدره بثلاثة آلاف وخمسمائة سنة^١ . وهو عمر يؤهله ولا شك لأن يكون في عداد المعمرين . وقد ورد اسم لقمان على انه اسم خنّار في شعر منسوب للناطقة حيث يقول :

كان مشعشعاً من خمر بصرى نمته البخت مشدود الخيام
حملن قلاله من بين رأس الى لقمان في سوق مقام^٢

وجعلوا للقمان نسباً هو (لقمان بن عاد)^٣ ، وصبروه (لقمان بن ناحور بن تارخ) ، وهو (آزر) أبو (ابراهيم)^٤ . وقال بعضهم : بل هو ابن أخت (أيوب) ، أو ابن خالته ، وجعله آخرون من حمير ، فقالوا له : (لقمان الحميري)^٥ ، وصبره آخرون قاضياً من قضاة (بني اسرائيل)^٦ . وقد اشتهر عند المسلمين بالقضاء ، ويظهر أن هذا السبب هو الذي جعل الواقدي يقول : إنه كان قاضياً في بني اسرائيل . ولم يفتن الأخباريون الى هذه الأخبار المتناقضة التي تخالف رواياتهم في عاد ، وأنها من أمم العرب البائدة ، إلا اذا جعلناه من الطارئين على قوم عاد الداخلين فيهم ، فهو غريب بين قوم عاد .

ويظهر من روايات أهل الأخبار ، أن الأخباريين كانوا يرون وجود لقمان آخر ، هو غير لقمان عاد . فقد زعموا أنه كان في عهد (داود) لقمان ، عرف به (لقمان الحكيم) . وقد نسبوه بعضهم على هذا النحو : (لقمان بن عنقاد) ، وقد زعم (المسعودي) ، أنه كان نوبياً ، وأنه كان مولى للقين ابن جسر ، ولد على عشر سنين من ملك داود ، وكان عبداً صالحاً ، من الله عليه بالحكمة ، ولم يزل باقياً في الأرض مظهراً للحكمة في هذا العالم الى

١ المعمرين (ص ٤) « طبعة عبد المنعم عامر » .

٢ البكري ، معجم (١١٦١/٣) .

٣ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) ، نهاية الارب (١٣/٦٠) ، البيان والتبيين (١٧٤/٣) .

٤ قصص الانبياء ، للشعالبي ، (ص ٢٠٥) .

٥ منتخبات (ص ٩٥ فما بعدها) .

٦ قصص الانبياء (ص ٢٠٥) .

أيام يونس بن متى حين أرسل الى أرض نينوى في بلاد الموصل^١ .
وهناك من فرَّق بين (لقمان بن عاد) وبين (لقمان) المذكور في القرآن ،
قال الجاحظ : (وكانت العرب تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ،
ولقيم بن لقمان في النباهة والقدر وفي العلم والحكم ، في اللسان وفي الحلم ، وهذان
غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقوله المفسرون)^٢ . وقد أورد
الجاحظ جملة أبيات للنمر بن تولب في لقمان وليم^٣ .

وقد ذكر الجاحظ أنه كانت لقمان أخت محمقة ، تلد أولاداً حمقى ، فذهبت
الى زوجة لقمان ، وطلبت منها أن تنام في فراشها حتى يتصل بها لقمان ، فتلد
منه ولداً كيساً على شاكلته ، فوقع عليها فأحبها به « لقيم » الذي أشرت اليه ،
فهو ابن لقمان اذن من أخته . وقد أورد الجاحظ في ذلك شعراً جاء به على
لسان الشاعر المذكور ، أي : (النمر بن تولب) ، زعم أنه نظم في هذه
القصة^٤ ، وزعم الجاحظ أيضاً أن لقمان قتل ابنته (صُحرا) أخت (لقيم) ، وذلك
أنه كان قد تزوج عدة نساء كلهن خنّه في أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل
من الجبل ، كان أول من تلقاه (صحرا) ابنته فوثب عليها فقتلها ، وقال :
(وأنت أيضاً امرأة) . وكان قد ابتلي بأخته على نحو ما ذكرت ، فاستاء من
النساء . وضربت العرب في ذلك المثل بقتل لقمان ابنته صحرا ، وقد أشير الى
ذلك في شعر لـ (خفاف بن ثدبة)^٥ .

وقد أشير الى (حي لقمان) في شعر لأبي الطحان القيني^٦ ، كما أشير اليه

١ أبو الفداء : المختصر (٢١/١ وما بعدها) ، مروج الذهب (٥٧/١ وما بعدها) ،
منتخبات (ص ٩٥ وما بعدها) ، ابن كثير ، البداية (٢٦/٢) ، « مطبعة
السعادة » ، تفسير ابن كثير (٤٤٣/٣ وما بعدها) ، تفسير البيضاوي (١٣٤/٧)
وما بعدها ، البلدان (٦٠٩ / ٣) ، تفسير الفخر الرازي (٧١/٧) ، تفسير
الطبري (٦٧/٢١) ، الحيوان ، للجاحظ (٢١/١) .

٢ البيان والتبيين (١٣٦/١) .

٣ البيان والتبيين (١٣٦/١) ، (١٦١/١) « القاهرة ١٩٣٤ م » ، نهاية الارب
(٦١/١٣) .

٤ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٥ الحيوان (٢١/١) « طبعة الحلبي » .

٦ امست بنو القين افراقا موزعة
البيان والتبيين (١٦٤/١) .
كانهم من بقايا حي لقمان

في شعر ينسب الى (ليبد بن ربيعة الجعفري)^١ . وفي شعر للفرزدق^٢ ، وفي شعر لبنت وثيمة بن عثمان ترثي به أباها^٣ .

وأضافوا الى (لقمان) أمثالا كثيرة نسبت اليه في الإسلام ، ولم تكن معروفة في الجاهلية^٤ . ونسب اليه بعض الأخباريين الميل الى انشاء المدن والبناء ، وضربوا به أيضاً المثل في كثرة الأكل ، فقالوا : (آكل من لقمان)^٥ .

وزعم (وهبه بن منبه) انه قرأ من حكمة (لقمان) نحواً من عشرة آلاف باب^٦ ، وزعم الرواة ان عرب الجاهلية كانت عندهم (مجلة لقمان) ، وفيها الحكمة والعلم والأمثلة^٧ ، وان جماعة منهم كانوا قد قرأوها وامتلكوها ، ذكروا من جملتهم (سُوَيْد بن الصامت) . وقد رووا انه كان يقرأها ، وانه أخبر الرسول بها لما قدم عليه^٨ . وقد جمع الناس ، فيما بعد ، حكمته وأمثاله والقصص المروي عنه ، ويشبه ما نسب اليه المنسوب الى (ايسوب) Aesop صاحب الأساطير والحِكَم والأمثال الموضوعة على لسان الحيوانات عند اليونان^٩ .

وبالفوا في حكمته وفي علمه حتى زعم انه كان يدرك من الأشياء ما يعجز عن ادراكه الانسان السوي^{١٠} . وضرب المثل في أيساره ، وعظم أمره ، حتى قيل (أيسار لقمان) ، كالذي ورد في شعر (طرفة) .

وورد في الأخبار : « اذا شرف الأيسار ، وعظم أمرهم قيل : هم أيسار لقمان . يعنون لقمان بن عاد ، . واستشهدوا على ذلك بيت طرفة :

وهم أيسارُ لقمانٍ ، اذا أغلت الشنوةُ أبْداءَ الجزُرِ^{١١}

١ واخلف قساليته ولعلني واعى على لقمان حكم التدبير

البيان والتبيين (١٦١/١) .

٢ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٣ البيان والتبيين (١٦١/١) .

٤ اللسان (٢٠/١٦ وما بعدها) ، Enc., Vol., 3, P., 35.

٥ مجمع الامثال ، للميداني (٩٨/١) .

٦ المعارف (ص ٢٥)

٧ Sprenger, Das Leben und die Lehre des Mohammad, Bd. I, S. 93.

٨ امثال لقمان الحكيم ، « طبعة ديرنبورغ » ، لندن (١٨٥٠)

٩ Sprenger, Das Leben. I, S. 93.

١٠ المعاني الكبير (١١٩٢/٣)

١١ المعاني الكبير (١١٥٢/٣) .

وقد زعم أن (زرقاء اليمامة) ، التي اشتهرت بحدة بصرها وقوة رؤيتها حتى انها كانت ترى من مسيرة ثلاثة أيام ، كانت امرأة من بنات لقمان بن عاد ، وكانت ملكة اليمامة واليمامة اسمها ، فسميت الأرض باسمها . وقد زعم ان النابغة الذبياني أشار اليها في شعره^١ .

وقد ورد في بعض الأشعار (لقمان بن عاد) . اذ جاء :

تراه يطوف الآفاق حرصاً ليأكل رأس لقمان بن عاد

وهناك أمثلة عديدة ينسبها الرواة الى (احدى حظيات لقمان) ، ووردت على لسانها وعلى لسان لقمان وعلى لسان فتى اسمه عمرو^٢ .

وقد زعم بعض أهل الأخبار ان لقمان بن عاد ، هو الذي بنى سد مأرب ، وأن مأرب اسم قبيلة من عاد ، وقد سمي باسمها هذا الموضع^٣ .

لم يبق بعد هلاك عاد الأولى ، على رأي أهل الأخبار إلا هود ونفر ممن آمن به والوفد الذي سار الى مكة للاستسقاء ، وفيهم لقمان وكان من أكابر العاديين . فأنشأ هؤلاء عاداً الثانية ، وخالف لقمان (الخليلجان) ملك عاد الأولى ، الذي خالف هوداً ، فهلك . وخاف العاديون انحباس المطر والجفاف ، فارتحلوا الى أرض سبأ ، وبنى لقمان سد (الحرم) قرب مأرب ، وبقيت عاد الثانية قائمة ، الى أن تغلبت عليها قبائل قحطان ، ثم انقرضت وبادت^٤ .

ويذكر أهل الأخبار ان عاداً لما رأوا انحباس المطر عنهم ، أرسلوا وفداً ، بلغ سبعين رجلاً في قول بعض الرواة ، الى مكة يستسقون ، وكان أصحابها هم العمالقة يومئذ ، ورئيسهم (معاوية بن بكر) ، فأكرمهم وأضافهم ، وأقاموا عنده شهراً : يشربون الخمر وتغنيهم (الجرادتان) وهما قيتتان لمعاوية بن بكر ، وفي الوفد المذكور لقمان . ونسوا أنفسهم هناك ، ولم يفتنوا لما جاؤوا اليه ،

-
- ١ واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت
قالت : الا ليتما هذا الحمام لنا
شرح ابن عقيل لالفة ابن مالك ، (٢٩٠/١) « طبعة محمد محيي الدين عبد الحميد » ، القاهرة ١٩٦٢ م .
 - ٢ الامثال ، للميداني (٣٧/١) ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
 - ٣ البكري ، معجم (١١٧١/٣) « لجنة التأليف والترجمة والنشر » .
 - ٤ الطبري (٢٢١/١) وما بعدها .

إلا بعد أن ذكرتهم (الجرادتان) بما جاؤوا به إليها ، فاستسقوا ، فأرسل الله عليهم ريحاً عاتية ، أهلكت عاداً في ديارها^١ ، ودمرت كل شيء ، فهلكت ، ولم يبق من عاد إلا من كان خارج أرضهم بمكة ، وهم من (آل لقيم بن هزال بن هزيل بن هزيمة ابنة بكر) ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد^٢ .

وقد ذكر المؤرخون وأصحاب الأخبار أن (عاداً) تعبدوا لأصنام ثلاثة ، يقال لأحدها : صداء ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء^٣ . ولم نعثر على أسماء هذه الأصنام حتى الآن في الكتابات .

وكان هلاك (عاد) واندثارهم بسبب انحباس المطر عنهم سنين ثلاثاً ، أعقبه هبوب رياح عاتية شديدة استمرت (سبع ليلال وثمانية أيام حسوماً)^٤ ، فهلك الناس واقتلعتهم الرياح وصارت ترميهم من شدتها ، (كأنهم أعجاز نخل منقعر)^٥ . (فرى القوم فيها صرعى ، كأنهم أعجاز نخل خاوية^٦) وخلصت ديارهم منهم ، وصارت أماكنهم أثراً .

ويجمع أهل الأخبار على أن هلاك عاد ، إنما كان بفعل عوارض طبيعية نزلت بهم فأهلكتهم ، وهي على اختلاف رواياتهم في وصفها وفي شرحها ، انحباس الأمطار عنهم ، وهبوب رياح شديدة عاتية عليهم . وقد تحدث المفسرون عنها لورود ذكرها في القرآن الكريم^٧ . وروي أن النبي أشار إلى أن هلاكهم وهلاك ثمود كان بالصواعق ، والصواعق من العوارض الطبيعية بالطبع^٨ .

ويرجع قسط من أخبار (عاد) إلى الجاهليين ، فهو من القصص الشعبي القديم الموروث عنهم ، ويعود قسط آخر منه إلى الإسلاميين ، وهو القسط الذي

- ١ سورة الاحقاف ٢٤ ، آية ٢٥ .
- ٢ الطبري (٢١٨/١) فما بعدها ، الفاخر (ص ٦٨) .
- ٣ الطبري (٢١٦/١) « دار المعارف » ، قصص الانبياء (ص ٣٩) ، نهاية الارب (٥١/١٣) ، الاصنام (١١٠ وما بعدها) ، « تحقيق احمد زكي باشا » ، مروج الذهب (٦١/٢) « طبعة دار الرجاء » .
- ٤ سورة الحاقة ، آية ٧ ، الطبري (٢٢٥/١) فما بعدها .
- ٥ سورة القمر ، آية ٢٠ .
- ٦ الحاقة ، آية ٧ .
- ٧ ابن كثير ، البداية (١٢٠/١) وما بعدها ، تفسير الرازي (٤٣/٢٩) ، (القاهرة ١٩٣٨ م) ، (٩/٨) ، تاريخ ابن عساكر (١٤/١) .
- ٨ القد الفريد (٣٦/٢) .

جاء شرحاً لما جاء موجزاً في القرآن الكريم ، ويرجع بعضه الى (الحارث بن حسان البكري) و (الحارث بن يزيد البكري) ، وتزعم رواية وردت في تأريخ الطبري أنه قص على الرسول قصصاً عن أمر (عاد)^١ ، ويرجع بعض آخر الى (كعب الأخبار) والى (وهب بن منبه) ، وهما من مسلمة يهود^٢ ، والى (السدّي)^٣ ، والى أشخاص آخرين تجد ذكرهم في سند الروايات المذكورة عند (محمد بن اسحاق) صاحب السيرة ، وعند الطبري وعند آخرين من أهل الأخبار والتواريخ ممن ساروا على طريقة ذكر المسند مع الروايات .

ويظهر أن كثيراً من أخبار (عاد) وضعت في أيام (معاوية) الذي كان له ولع خاص بأخبار الماضين ، فجمع في قصره جماعة اشتهرت بروايتها هذا النوع من القصص ، وفي مقدمة هؤلاء (عُبَيْدُ بْنُ شَرِيَّةَ الْجُرُهمي) و (كعب الأخبار)^٤ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن رجلاً قصّ في أيام معاوية ، أن إبلاً له ظلت في تيه آمن ، وهو غائط بين حضرموت وأبين ، فالتقطها من هناك ، ووجد فيه موضع (إرم ذات العماد) ، ووصف أبنيته العجيبة ، وهذا الرجل هو في جملة من موثّق العاشقين للأساطير بأخبار عاد . وقد ذكر الطبري أن (وهب بن منبه) ، قصّ أنه سمع من رجل اسمه (عبدالله بن قلابة) أن إبلاً له كانت قد شردت ، فأخذ يتعقبها ، فبينما هو في صحارى (عدن) ، وقف على موضع (إرم ذات العماد) ، وقد وصف ذلك الموضع على النحو المألوف عن (وهب) ، من اغراقه في الأساطير وفي القصص الخيالي البعيد عن العقل* .

ثمود :

ويرد اسم ثمود في الكتب العربية مقروناً باسم (عاد) ، وبعد هذا الاسم

-
- ١ الطبري (٢١٧/١) فما بعدها ، شمس العلوم (١ - ١) ، القسم الاول ، ص ٢٦٢)
 - ٢ الطبري (٢٢٦/١) .
 - ٣ الطبري (٢٢٥/١) .
 - ٤ نهاية الأرب (٦٢/١٣) فما بعدها راجع قصة « ابن بيض » مع لقمان ، ويظهر أنها من قصص الجاهلية ، الفضليات (ص ٩١) ، ديوان الفضليات (ص ٩١)
 - ٥ « طبعة بيروت ١٩٢٠ م » .
 - ٥ تفسير الطبرسي (٤٨٦/٩)

في الغالب ، والروايات العربية الواردة عنهم لا تعرف من تأريخهم شيئاً ، إنما روت عنهم قصصاً أوردتها لمناسبة ما ذكر عنهم في القرآن الكريم على سبيل العظة والاعتبار والتذكير . وقد وردت اشارات عنهم في الشعر الجاهلي^١ .

وجاء اسم (ثمود) في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، جاء منفرداً ، وجاء مقروناً باسم شعوب أخرى مثل قوم (نوح) وقوم (عاد) ، فبدأ بقوم نوح ثم عاد ثم ثمود^٢ . وجاء مع ثمود في موضعين (أصحاب الرس) ، جاءوا بعد (ثمود)^٣ كما جاء اسمهم قبل (ثمود)^٤ . وورد أيضاً ذكر قوم (لوط) و (أصحاب الأيكة) ، وقد تقدم في هذا الموضع اسم (ثمود) ، ودعت الآية أولئك : (الأحزاب)^٥ ، كما ورد ذكر (ثمود) مع (عاد)^٦ . وقد تقدم اسم (عاد) على ثمود الا في آية واحدة تقدم فيها اسم ثمود على اسم (عاد) : « كذبت ثمود وعاد بالقارعة »^٧ ، وورد اسم (ثمود) في آيات

١ ورد في الشعر المنسوب لامية بن ابي الصلت :

كثمود التي تفتكت الدين عتيا وام سقب عقيرا

وذكر قصة الناقة ، رجع ديوانه (ص ٤٤) ، « طبعة فر . شلتيز »
Fr. Schulthess « لايزك ١٩١١ م » .

وورد في شعر لسلمة بن الحرث ، وهو من معاصري عمرو بن كلثوم :

حتى تزور السباع ملحمة كانها من ثمود او ارما

راجع الفضليات (ص ٤٢٨) .

وورد اسم ثمود ايضا في شعر لجريز بن خرقاء المجلي :

ويوم الحنو قد علمت معد حصدناكم كما حصدت ثمود

الفضليات (ص ٤٣٩) ، وورد في شعر لبيد اسم ارم وعاد وثمود ، ديوان لبيد ، (ص ٢٥) ، سبائك الذهب ، للسويدي (ص ١٥) .

٢ سورة التوبة ٩ ، الآية ٧ ، سورة ابراهيم ١٤ ، الآية ٩ ، سورة الحج ٢٢ ، الآية ٤٢ ، سورة غافر ٤٠ ، الآية ٣١ .

٣ « وعادا وثمودا وأصحاب الرس » ، سورة الفرقان ٢٥ ، الآية ٣٨ .

٤ سورة ق ، ٥٠ ، الآية ١٢ .

٥ سورة ص ، ٣٨ ، الآية ١٣ .

٦ سورة المنكبوت ٢٩ ، الآية ٣٨ ، سورة فصلت ٤١ ، الآية ١٣ ، سورة النجم ٥٣ ، الآية ٥١ .

٧ سورة الحاقة ، ٦٩ ، الآية ٤ .

أخرى من القرآن الكريم^١ .

وقد ذكر الطبري ان شعراء الجاهلية ذكرت في شعرها عاداً وثمود ، وان أمرهما كان معروفاً عند العرب في الشهرة قبل الإسلام، وأن من يظن أن الجاهليين لم يكونوا يعرفون عاداً أو ثموداً فإنه على وهم وخطأ^٢ .

ويظهر من ورود ذكر (ثمود) في مواضع متعددة من القرآن ، لترهيب (الكفار) من العقابة التي آلت اليها حالة (ثمود) بعد أن استحيبوا العمى على الهدى ، واستمروا بطغواهم كما استمر طغيان (فرعون)^٣ وقوم (مدين)^٤ وغيرهم ممن ذكرناهم ، أن الجاهليين كانوا يعلمون مصير ثمود ومصير عاد الذي كان من نوع مصير ثمود^٥ ، وأنهم كانوا يعرفون منازلهم كالذي يظهر بجلاء من الآية : (وعاداً وثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم)^٦ معرفة جيدة، ولم يعين القرآن الكريم موضع منازل (ثمود) ، وإنما يظهر من آية : (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد^٧) ، أن مواضعهم كانت في مناطق جبلية ، أو في هضاب ذات صخور . وقد ذكر المفسرون أن معنى (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتاً^٨ ، وأن (الواد) هو وادي القرى . فتكون مواضع ثمود في هذه الأماكن . وقد عين أكثر الرواة (الحجر) على أنه ديار ثمود ، وهو قرية بوادي القرى . وقد زارها بعض الجغرافيين وعلماء البلدان

١ سورة الاعراف ٧ ، الآية ٧٣ ، سورة هود ١١ ، الآية ٦١ ، ٦٨ ، ٩٥ ، سورة الاسراء ١٧ ، الآية ٥٩ ، سورة الشعراء ٢٦ ، الآية ١٤١ ، سورة النمل ٢٧ ، الآية ٤٥ ، سورة الداريات ٥١ ، الآية ٤٣ ، سورة القمر ٥٤ ، الآية ٢٣ ، سورة البروج ٨٥ ، الآية ١٨ ، سور الفجر ٨٩ ، الآية ٩ ، سورة الشمس ٩١ ، الآية ١١ .

٢ الطبري (٢٣٢/١) ، « طبعة دار المعارف » ، الكامل ، لابن الاثير (٥٠/١) ، نهاية الارب (٢٩٢/٢) .

٣ سورة البروج ٨٥ ، الآية ١٨ .

٤ سورة هود ١١ ، الآية ٩٥ .

٥ سورة فصلت ٤١ ، الآية ١٣ .

٦ سورة العنكبوت ٢٩ ، الآية ٢٨ .

٧ سورة الفجر ٨٩ ، الآية ٩ .

٨ الكشف ، للزمخشري (٢٠٩/٤) ، تفسير الطبري (١١٣/٣٠) ، روح المعاني ،

للالوسي (١٢٤/٣٠) .

والسيّاح ، وذكروا أن بها بئراً تسمى بئر (ثمود) ^١ ، وقد نزل بها الرسول مع أصحابه في غزوة (تبوك) ^٢ . وقد ذكر المسعودي أن منازلهم كانت بين الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبيشي ، وديارهم بفتح الناقة ، وأن بيوتهم منحوتة في الجبال ، وأن رمهم كانت في أيامه باقية ، وآثارهم بادية ، وذلك في طريق الحاج لمن ورد الشام بالقرب من وادي القرى ^٣ .

وينسب التسابون ثمود الى (ثمود بن جائر أو كائر بن لارم بن سام بن نوح) ^٤ ، ويكتفي بعضهم بارجاع نسبهم الى عاد ، فيقولون عنهم لأنهم من بقية عاد ^٥ . وينسبهم بعض آخر الى (عابر بن لارم بن سام بن نوح) ، وزعموا أن ثمود هو أخو جديس ^٦ .

وقد استطاع المستشرقون التعرف على الثموديين من الكتابات والمؤلفات (الكلاسيكية) ، فوجدوا اسم ثمود في النصوص الآشورية : وجدوه في نص من نصوص (سرجون الثاني) ، مع أسماء شعوب أخرى سوف أتحدث عنها . وقد دعوا بـ (Tamudi) (Thamudi) ^٧ ، وذلك بمناسبة معركة جرت بين الآشوريين وبين هذه الشعوب ، انتصر فيها الآشوريون ، كما وجدوه في النصوص والكتابات الثمودية ، وقد عثر عليها في مواضع متعددة من جزيرة العرب ، وفي النصوص (الكلاسيكية) حيث عرفوا باسم (Thamudeni) (Thamudenoï) (Thamydenoi) (Thamyditai) ^٨ .

- ١ البلدان (٢٢١/٣) ، الطبري (١١٨/١) ، اللسان (٢٤٢/٥) ، سبائك الذهب (ص ١٥) ، صبح الاعشى (٣١٣/١) ، تقويم البلدان (٨٩) .
- ٢ البكري ، معجم (٤٢٦/٢) ، « طبعة السقا » الاغانى (٢٨/٦) ، ابن كثير ، البداية (١٣١/١) وما بعدها .
- ٣ مروج الذهب (٢٥٩/١) ، « قال كعب : لما اهلك الله عز وجل عاداً ، جاءت ثمود وعمرت الارض ، وكانوا بضع عشر قبيلة وكانت منازلهم ما بين الحجاز الى الشام ، وهي ديار الحجر من وادي القرى » ، نهاية الارب (٧١/١٣) .
- ٤ صبح الاعشى (٣١٣/١) .
- ٥ « وثمود ، كصبور ابن عابر بن ارم بن سام . قبيلة من العرب الاول ، ويقال انهم من بقية عاد » ، تاج العروس (٣١٢/٢) ، اللسان (١٠٥/٣) « صادر » .
- ٦ ابن كثير ، البداية (١٣٠/١) وما بعدها .
- ٧ Rawlinson, Cunai Form Inscriptions, Vol., I, Pl., 36, Lyon,

Sargon, P., 4, Musil, Deserta, P., 291.

Musil, Deserta, P., 291, Ptolemy, Geography, VI, 7 ; 4, VI, 7;21, Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Forster, Vol., I, P., 323, Vol., 2, P., 30, 117, 274, 284.

٨

ولقد وصف مؤلف كتاب : (الطواف حول البحر الأريتري) مواضع الثموديين (Thamudeni) مستنداً إلى مورد آخر ، أخذ منه ، أقدم عهداً منه . فذكر أن (Thamudeni) ، كانوا يقيمون على ساحل صخري طويل ، لا يصلح لسير السفن ، وليست فيه خلجان تستطيع أن تأوي إليه القوارب فتحتمي بها من الرياح ، ولا ميناء تتمكن من الرسو فيه ، ولا موضع أو جزر عنده تقبل إليه القوارب الهاربة من الأخطار^١ . فيظهر من وصف هذا المؤلف أن مواطن ثمود كانت في الحجاز على ساحل البحر الأحمر .

وقد ذكر هذا الوصف ، ولكن بشيء من التحوير (ديودورس)^٢ . وأما (بلينيوس) ، فذكر (Tamudaei) بين (Domata) و (Haegra) ومدينة دعاها (Badanatha) (Baclanaza) . وأما (بطلميوس) ، فقد جعل قوم ثمود (Thamuditae) (Thamudeni) بين الـ (Sarakenoi) وبين (Apatae)^٣ . ويظهر من كل ذلك أن ديارهم في شمال غربي (العربية السعيدة)^٤ ، أي في المواضع التي عينتها المصادر العربية .

يظهر من جغرافية (بطلميوس) اذن ، أن ديار ثمود كانت غير بعيدة عن ديار (عاد) ، ليس بينها وبين ديار عاد (Oaditae) الا ديار (سره كيني) (Sarakeni) وكلها في أعالي الحجاز في هذه المنطقة الجبلية التي تخترقها الطرق التجارية التي توصل الشام ومصر بالحجاز واليمن . وفي هذا تأييد للروايات العربية القائلة ان ديار ثمود كانت على مقربة من ديار عاد . فإذا كانت (الحجر) وما والاها هي مواطن ثمود : وجب أن تكون ديار (عاد) على مقربة من هذه المواضع .

وأما تأريخ قوم (ثمود) ، فيعود الى ما قبل الميلاد بزمان . وقد ذكرت قبل قليل أنهم كانوا في جملة الشعوب التي حاربت الآشوريين في عهد (سرجون

1 Musil, Deserta, p., 302, The Periples of the Erythrean Sea, by William Vincent, London, 1800, Part the Second, P., 262.

2 Diodorus, Bibliotheca Historica, III, 44, Musil, Deserta, P., 291.

3 Pliny, Natur. History, (translated by H. Rackham), Vol., 2, P., 456 457, VI, 32.

4 Glaser, Skizze, 2, S., 108, Ptolemy, VI, 7:4 VI, 7:21, V, 19 7 Hastings.

A Dictionary of the Bible, Vol., I, P., 630.

5 Musil, Hegaz, P., 291, Glaser, Skizze, 2, S., 108, 256.

(الثاني) ، وقد ذكر هذا الملك في النصوص التاريخية التي سجلها ، أنه تغلب عليهم ، وأنه أجلاهم من مواطنهم الى (السامرة) (Samaria)^١ . ولم يكن أولئك الثموديون الذين حاربوه من أبناء الساعة ، بل لابد أن يكون لهم أسلاف عاشوا قبلهم عدة قرون .

وقد عرفت المنطقة التي حارب بها قوم ثمود والشعوب الأخرى الآشوريين باسم (بري) (Bari) ، ويظهر أنها تعني لفظة (بر) و (برية) العربية ، أي (البادية) فحرّفت الى (بري) على وفق الآشوري^٢ .

ويرى بعض الباحثين أن آخر ذكر ورد في الوثائق لقوم (ثمود) كان في القرن الخامس للميلاد ، حيث ورد أن قوماً منهم كانوا فرساناً في جيش الروم^٣ .

وقد كان الثموديون يقطنون بعد الميلاد في مواطنهم المذكورة في أعالي الحجاز في (دومة الجندل) و (الحجر) وفي غرب (تباه) . وقد ذكر أنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حرّتي^٤ (العوارض) و (الأرحاء)^٥ . ويرى (دوتي) أن (الحجر) التي سكن بها قوم ثمود ، هي موضع (الحريبة) في الزمن الحاضر ، لا (مدائن صالح) التي هي في نظره (حجر) النبط . وتقع (مدائن صالح) ، وهي عاصمة النبط ، على مسافة عشرة أميال من موضع (الحريبة)^٦ .

ولم يرد في الموارد العربية الإسلامية ، ما يفيد وجود قبائل ثمودية قبيل الإسلام ، أو في الإسلام ، غير ما ذكره بعضهم من نسب (ثقيف) الذي رجعوه الى ثمود ، ولكن ذلك لم يرض الثقيفين . فقد كان الحجاج بن يوسف يكذب ذلك^٦ ، والظاهر أن أعداء ثقيف ولا سيما معارضي الحجاج وضعوا ذلك على ثقيف بغضاً

١ Lyon, Kellschrifttexte Sargons, S., 4, (1883), Winckler, Kellschrifttexte Sargons, Bd., 2, PL., 2, No., I, Linie 20, Schrader, Kellschriftliche Bibliothek, (1889-1900), Bd., 2, S., 42, Musil, Deserta, P., 479, Musil, Hegaz, P., 289.

٢ Sprenger, Geography, S., 28.

٣ Doughty, Vol., I, P., 229, Sprenger, S., 28.

٤ Musil, Hegaz, P., 291.

٥ Doughty, Vol., I, P., 229.

٦ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الكامل (٢٧٦/١) .

للحجاج ، الذي كان قاسياً عائياً شديداً . وقد روى (دوتي) أن بدو نجد يذكرون ان قبيلة (بني هلال) هي من نسل عاد وثمود^١ .

ونجد في كتاب : (Mission archéologique en Arabie) مؤلفه (Jaussen) و (Savignac) ، عدداً من الكتابات الثمودية ، عثرا عليها في (العلا) وفي مواضع أخرى من الأرضين التي هي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية وفي أعالي الحجاز من المملكة العربية السعودية ، كما عثر غيرها قبلها وبعدها على عدد آخر ، أغلبه من هذه الكتابات القصيرة ، التي كتبت على مختلف الأحجار ، بالمناسبات ، مثل تذكار شخص ، أو تسجيل اسم لمناسبة وجود صاحبه في هذا المكان ، كما يفعل كثير من الناس في أيامنا^٢ .

ويمكن (لانكستر هاردنك) محافظ مديرية الآثار العتيقة في المملكة الأردنية الهاشمية من تصوير ما يزيد على خمسمائة كتابة ثمودية أرسلها الى المشرق (أنوليتمان) ، يعود بعضها الى ما قبل الميلاد ، ويعود قسم منها الى ما بعد الميلاد ، ومن بينها نص أرخ بسنة (٢٦٧) للميلاد ، ونص آخر رسمت فيه دائرة في داخلها صورة تشبه الصليب ، وكتابة قرأها المشرق (أنوليتمان) : (يشوع) أو (ليشوع) ، أي (يسوع) ، وهو النص الذي رُقم بـ (٤٧٦) . والظاهر ان صاحبه كتبه تيمناً باسم المسيح ، ولا يعرف تأريخه بالضبط . ويعتقد (ليتمان) انه أقدم شاهد عرف حتى الآن عن انتشار النصرانية في شمال جزيرة العرب^٣ . وقد قرأها المشرق (فان دين برندن) : (بوايوب) أي (لأيوب) ، أو (بأيوب) ، أو (أيوب) . وبالجملة فان العلماء لم يتمكنوا من ترجمة تلك الكتابات ترجمة صحيحة حتى الآن^٤ .

وفي المتاحف الأوروبية وفي مكتبات بعض الجامعات وفي أوراق المشرقين مجموعة من النصوص الثمودية ، جميعها في أمور شخصية وفي موضوعات دينية وأدعية لآلهة ثمود . وأما المناطق التي وجدت فيها هذه النصوص ، أو أخذت

Die Offenbarung Arabiens, (Arabia Deserta), Leipzig, 1937, S., 63. ١

Van den Branden, Les Inscriptions Thamoudéennes, Louvain-Heverbe, 1950. ٢

The Muslim World, Vol., XI, No., I, January, 1950, Jesus in Pre-Islamic Arabic Inscription, by Enno Littmann. ٣

A. Van den Branden, in Le Museon, LXIII, (1950) 1-2, P., 47-51, "Une Inscription Thamoudeenne". ٤

صورها ، فهي مناطق (حائل) بنجد ، وأرض (تبوك) وتبء ومدائن صالح والسلاسل الجبلية الممتدة بين هذه المنطقة والحجاز ، وعثر في الطائف على بعض النصوص الثمودية أيضاً وفي السواحل الحجازية الشمالية للبحر الأحمر عند (الوجه) وفي (طور سيناء) وفي (الصفا) شرقي دمشق وفي مصر^١ . وفي (الحرة) و (الرحبة) وفي شمال غربي تدمر^٢ .

وقد عثر على نقوش ثمودية في اليمن ، وبدل وجود هذه الكتابات هنالك على وجود صلات بين اليمن وتمدود ، ولعلمهم كانوا يقيمون في اليمن كذلك . وقد عثرت البعثة المصرية التي زارت اليمن على مخربشات ثمودية في (حجر المعقاب) عند جبل (حليل) على مسافة ليست بعيدة من (بيت حميد) بوادي شرع بالخارد^٣ .

ويشك المستشرق (هوبرت كريمه) (Hubert Grimme) في صحة نسبة كثير من هذه النصوص الى ثمود ، ويرى أنها لأناس غيرهم ، إذ لا دليل علمياً هناك يثبت كون هذه النصوص تعود الى هؤلاء .

وهناك عدد غير قليل من النصوص الثمودية يعود عهدها الى العهد النبطي ، ويشغل حيزاً من الزمن يقع بين حوالي مئتي سنة قبل المسيح وثلاث مئة سنة بعده ، وتمتزع في مثل هذه النصوص الثمودية بالنبطية . وقد عثر على بعض نصوص نبطية في الحجاز ظن أنها نصوص ثمودية، مثل نص: Hu. 418 = Eu. 772 ، ونص آخر يعود الى سنة ٢٦٧ للميلاد^٤ .

إلا أن هناك نصوصاً ثمودية يظهر عليها أثر عبادة (صلم) (Salm) . وقد كانت (تبء) من أهم الأماكن التي كانت تقدر هذا الإله حوالي سنة (٦٠٠) ق.م. ، ويرمز أهل تبء الى (صلم) برأس ثور ، وقد وجد هذا الرمز

1 Ency., Vol., 4, P., 736, Musil, Negd, P., 104, 140, Huber in Journal D'un Voyage en Arabie, 1883-1884, Grimme, Entzifferung Thamudenischer Inschriften, 1904, Jausen-Savignac, Mission Archéologique en Arabie, 1-2 19011, 1914.

2 E. Littmann, Thamud und Safa, S., 6, f, 95. f, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 164.

3 نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحهما ، للدكتور خليل يحيى نامي ، القاهرة ١٩٤٣ (ص ١٠٩) ، وقد عثر الرحالة « فليبي » على بعض الكتابات التي يظهر أنها ثمودية لحبانية ، Philby, Sheba's Daughters, P., 441.

4 Ch. Doughty, Documents Epigraphiques Recueillis dans le Nord de L'arabie, 1884.

على النقوش الثمودية ، كما وجدت أسماء بعض الآلهة التي كان يتعبد لها أهل تيماء منقوشة في النصوص الثمودية ، مما يدل على أن قوم ثمود كانوا يتعبدون لها كذلك ، وأن هنالك صلات ثقافية ودينية بين تيماء و ثمود .

ويرجح بعض الباحثين تأريخ عدد من الكتابات الثمودية الى القرن السابع قبل الميلاد . وهناك كتابات يرون أنها أقدم عهداً من القرن السابع . غير أن أكثر ما عثر عليه يعود تأريخه الى ما بعد الميلاد . وهي بالجملة في أمور شخصية ، لا تفيد المؤرخ الذي يريد تدوين تأريخ (ثمود) فائدة كبيرة . ولكنها نافعة على كل حال من نواح أخرى ، فهي تفيد اللغوي الذي يريد الوقوف على لغة الثموديين ومعرفة أسمائهم ولهجاتهم ، وتفيد الباحثين في اللهجات العربية الجاهلية وفي الساميات .

والكتابات الثمودية في نظر الباحثين نوعان : كتابات قديمة وقد دوت بالقلم الثمودي القديم ، وكتابات حديثة وقد كتبت بقلم ثمودي متطور تختلف أشكال حروفه ورسومها بعض الاختلاف عن القلم القديم . وللقلم الثمودي صلة بقلم (طور سيناء) ، كما أن له علاقة بالقلم المسند . وتفيد دراسته من هذه الناحية في الوقوف على تأريخ تطور الكتابة في جزيرة العرب قبل الميلاد ، وفي تطور الأقلام بوجه عام^١ .

ويلاحظ وجود بعض الخواص في الكتابات الثمودية التي عثر عليها في الحجاز ، لا نجدها ، أو قلما نجدها في كتابات ثمودية أخرى ، عثر عليها في نجد وفي اليمن . ويعود سبب ذلك الى تأثير البيئات ، ولا شك ، في هؤلاء الثموديين الذين تأثروا بلهجات جيرانهم وبثقافتهم ، فظهر ذلك الأثر في هذه الكتابات^٢ .

ويظهر من الكتابات الثمودية أن قوم ثمود كانوا زُرّاعاً وأصحاب ماشية ، وأنهم كانوا أقرب الى الحضر، منهم الى أهل الوبر ، فقد كانت لهم مستوطنات ثابتة استقروا فيها ، وكانت لهم معابد ثابتة أيضاً ، أي مبنية ، وبينهم قوم اشتغلوا بالتجارة . ولعل الأيام ستجود علينا بكتابات ثمودية تتحدث عن أمور عامة ، وعندئذ نستطيع أن نستنبط منها شيئاً عن أحوالهم من مختلف الوجوه .

Hubert Grimme, Die Loesung des Sinalschriftproblems, Die
Altthamudische schrift, S., 24.

١

Grimme, Die Loesung, S., 25. ٢

ومن أصنام ثمود التي ورد ذكرها في كتاباتهم ، الصنم (ودّ) ، وهو من الآلهة القديمة عند العرب^١ . والصنم (جد - هد) أو (جد - هدد) ، وله عندهم معابد وسدنة يخدمونه ، ويعرف سادن الأصنام عندهم بـ (قسو) أي (قس) . عرفنا أسماء بعضهم ، ومنهم السادن (ايليا) (ايليس)^٢ . ويظهر أنه كان من الآلهة العربية العتيقة ، غير أن سعده أخذ في الأفول ، فأخذت مكانه آلهة أخرى ، ثم عفى أثره من الذاكرة ، فلم يرد اسمه بين الأصنام التي كان يعبدها الجاهليون قبيل الإسلام . وقد بقيت مع ذلك أسماء مثل: (عبد جد) تشير الى اسم الإله العربي القديم^٣ .

و (شمس) و (مناف) و (مناة) و (كاهل) و (بعلة) (بعلت) و (بعل) و (يهو) و (رضو) أو (رضى) ، هي أيضاً من أصنام ثمود ، سأنحدر عنها كلها في أثناء بحثي في الديانة العربية قبل الإسلام . ومن بقية آلهة ثمود (عثبرت) (عثيرة) ، و (وتسن) (وت) ، و (بثج) (سمع) و (سميع) و (هبل) و (سحر) ، و (سين) و (عم) و (قين) و (يفوث) و (إله) و (ألى) و (إلهي) و (الت) و (اللات) و (حول) (حويل) و (ذو شري) و (سمين) و (هلال) و (صلم) و (نهي) و (عثر سمين) و (كاهل) (كهل) ، و (ملك) و (مالك) ، و (هادي) (هلى) ، و (بجل) ، و (رتل) ، و (هيج) ، و (شوع) ، و (ستار) ، و (طنفت) ، و (سعى) ، و (غم) ، و (عس) ، و (عسحرد) ، و (عشير) ، و (عطير) ، و (تجر) ، و (دبر)^٤ .

وبعض هذه الأسماء ليست في الواقع أسماء آلهة ، وإنما هي من قبيل ما يقال له (الأسماء الحسنى) عندنا أو صفات الله ، فلفظة (سمع) مثلاً ، وهي بمعنى (سميع) أو (السميع) في عربيتنا ليست اسم إله معين ، إنما هي صفة للإله ، بمعنى أن الإله هو سميع يسمع دعوات الداعين . ولذلك يخاطبه المؤمنون ويقولون له (سمع) (يا سميع) ، ليسمع دعاءهم وليجيب طلباتهم ، وهناك ألفاظ

J. Wellhausen, Reste, S., 14. ١

Grimme, S., 39, Note 9. ٢

Wellhausen, S., 146. ٣

Van den Brandeen, Les Inscriptions, PP., 10. ٤

أخرى هي من هذا القبيل .

ووصلت إلينا أسماء ثمودية كثيرة ، مثل : (أوس) و (سعد) و (غفير) و (وائل) و (بارح) و (كربال) (كرب ليل) و (عش) (عائش) و (مالك) (ملك) و (عذرال) (عذرايل) ، و (عوذ) ، و (أسعد) ، و (عياش) ، و (إياس) ، و (قيس بن وائل) (قس بن وال) وغيرها ، مما يفرجنا ذكرها عما نحن فيه . وهي أسماء لا يزال بعضها مستعملاً^١ .

ويلاحظ أن بعض هذه الأسماء مثل (كرب ال) و (عذرال) ، وما شاكله ، قلّ استعمالها عند العرب قبيل الإسلام ، بينما كانت من الأسماء الشائعة في الجاهلية البعيدة عن الإسلام ، ولا سيما بين الجاهليين في العربية الجنوبية ، حيث ترد بكثرة في كتابات المسند .

ويرى (برو) Brau أن ثموداً أصيبوا بكارثة عظيمة ، من ثوران براكين أو هزات أرضية ، بدليل ورود كلمة (رجفة)^٢ وكلمة (صيحة) في القرآن الكريم ، وذلك محتمل جداً ، لأن البقاع التي كانوا يقطنونها هي من مناطق الحرارة^٣ .

ويشبه مصير (عاد) و (ثمود) مصير (سدوم) (Sodom) وعمورة (جمورة) (كمورة) (Gomorrah) وبقية مدن الدائرة في عمق السديم^٤ التي تقع - على رأي كثير من علماء التوراة - في جنوب البحر الميت ، فقد لاقت هذه المدن ، وهي خمس على سهل (دائرة الأردن) المصير الذي لقيه قوم عاد و ثمود ، حيث أرسل الله عليهم عذاباً (فأمر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض)^٥ . وأصحاب هذه المدن هم : قوم (Lot) (لوت) .

١ E. Littmann, Thamud und Safa, (Abhand. f. d. Kunde d. Morgenlandes 25, I), 1940, Die Araber in der Alten Welt, I, S., 163. ff., M. Hofner, Die Beduinen in L'Antica Societa Beduina (Studi Semitici), 1959, 53. f.

٢ Ency., Vol., 4, P., 736.

٣ James A. Montgomery, Arabia and the Bible, P., 91, Hastings, P., 734.

٤ قاموس الكتاب المقدس (٥٥١/١) ، (١١٩/٢) ، (٣٠٠) ،

Hastings, P., 734, Ency. Bibl., P., 3790.

٥ التكوين ، الاصحاح التاسع عشر ، الآية ٢٣ وما بعدها .

و (لوت) هو (لوط) المذكور في القرآن الكريم . وقد رأيت ان القرآن الكريم قد أشار الى مصير (قوم لوط) ، وأطلق على ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة (الأحزاب) . « و ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب »^١ .

وقد تعرض المفسرون لقوم (لوط) وما حل بهم من العذاب ، وبحث عنهم أهل الأخبار والتاريخ ، باعتبار ان أخبارهم هي صفحة من صفحات التاريخ القديم العام قبل الإسلام . وفي الرواية التي ذكرها (الطبري) في تأريخه عنهم ، وسندها مرفوع الى (محمد بن كعب القرظي) ذكر للقرى الخمس الواقعة حول (سهل دائرة الأردن) ، وقد دعاها بـ (المؤتفكات) المأخوذة من القرآن الكريم من « والمؤتفكة أهوى »^٢ ، وهي : صبعة ، وصعرة ، وعمرة ، ودوما ، وسدوم ، بحسب رواية الطبري هذه^٣ . وفي هذه الأسماء تحريف وتغيير في الترتيب الذي وردت به في التوراة ، اذ هي فيها على هذا الشكل : سدوم (Sodom) و (عمورة) (Gomorrah) و (ادمه) (Admah) و (صبويم) (Zeboim) و (باله) (Bela) وتسمى أيضاً بـ (صوغر) (Zoar)^٤ .

وقد نبه القرآن قريشاً الى مصير يشبه مصير (ثمود) ، اذ كفروا بنبوة نبيهم (صالح) ، وعقروا (الناقة) التي أرسلت لهم آية تحذرهم من عاقبة كفرهم ومن استمرارهم في تكذيبهم نبوة نبيهم . فلما استمروا في غيهم وضلالهم ، أرسل الله عليهم (الصيحة) ، فأهلكهم ، ورجفت الأرض بهم ، فلم يبق من كفارهم على الأرض إلا رجل واحد ، هو (أبو رغال) كان في حرم الله^٥ ، فنهه حرم الله من عذاب الله .

ويذكر أهل الأخبار أن رسول الله لما غزا غزاة تبوك ، نزل (الحجر) ، ونهى الناس من دخول القرية ، ومن شرب مائها ، وأراهم مرتقى الفصيل .

١ سورة ص رقم ٢٨ ، الآية ١٣ ، وتجد قصة لوط وقومه مفصلة في تاريخ الطبري (١٥٠/١) وما بعدها ، نهاية الارب (١٢٣/١٣ ، ٢٤٨) .

٢ سورة النجم ، الآية ٥٣ .

٣ الطبري (٣٠٧/١) .

٤ قاموس الكتاب المقدس (٣٠٠/٢) ، Hastings, P. 734

٥ الطبري (٢٣١/١) فما بعدها « طبعة دار المعارف » .

والقرية المذكورة هي (الحجر) ، وهي (قرية ثمود)^١ .
وقد ورد في شعر (حسان بن ثابت) : (أشقى ثمود) ، وقد ذكر
الشرائح أنه (قدار بن سالف أحيمر ثمود) ، وهو عاقر ناقة صالح^٢ . وهكذا
نجد لثمود (أحيمراً) على نحو ما وجدنا عند عاد .

ويرجع سند روايات (الطبري) عن ثمود الى (الحسن بن يحيى) ، ويتصل
سنده بـ (أبي الطفيل) ، والى (القاسم) ، وينتهي سنده الى (عمرو بن
خارجة) ، و (ابن جريج) عن جابر بن عبدالله و (اسماعيل بن المتوكل الأشجعي)
وينتهي سنده بـ (عبدالله بن عثمان بن خثم) عن (أبي الطفيل)^٣ .
وتفيدنا دراسة هذه الأسانيد وأمثالها فائدة كبيرة في الوصول الى معرفة الموارد
التي أمدت الأخباريين بأمثال هذه الأخبار .

طسم وجديس :

وساق الأخباريون نسب (طسم) على هذه الصورة : (طسم بن لاوذ بن
إرم) أو (طسم بن لاوذ بن سام) ، أو (طسم بن كائر) ، أو ما شابه
ذلك من نسب^٤ . ونحن لا نعرف الآن من أمرهم غير ما ورد من القصص
المدون في الكتب ، ولم يرد لهم ذكر في القرآن الكريم . وقد جعلهم بعض
أهل الأخبار من أهل الزمان الأول ، أو من عاد^٥ .

وقد شك حتى الأخباريون في الأخبار المنسوبة الى (طسم) ، إذ اعتبروها
أخباراً موضوعة ، فقال بعضهم : (وأحاديث طسم : يقال لما لا أصل له .
تقول لمن يخبرك بما لا أصل له : أحاديث طسم وأحلامها ، وطسم إحدى قبائل

١ الطبري (٢٣١/١) فما بعدها .

٢ كاشقى ثمود ، إذ تعاطى لحينه عضيلة ام السقب والسقب وارد

ديوان حسان (ص ١٢٠) « للبرقوقي » .

٣ الطبري (٢٣١/١) .

٤ الطبري (٧٧١/١) « طبعة أوربة » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغانى (٤٨/١٠) ،

ابن الاثير (١٣٩/١) ، الطبري (٢٠٣/١) وما بعدها ، « دار المعارف »

٥ اللسان (٣٦٣/١٢) .

العرب البائدة ^١ .

أما مواطن طسم ، فكانت اليمامة ، وعند بعضهم الأحقاف والبحرين ^٢ . وقد زعم الأخباريون أن طسماً وجديساً سكنتا اليمامة معاً ، وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها ، ثم انتهى الملك الى رجل ظالم غشوم من (طسم) يقال له (عمليق) أو (عملوق) إستدلّ جديساً ، وأهانها ، فثارت جديس وقتلت عمليقاً ومن كان معه من حاشيته ، واستعانت طسم بـ (حسان بن تبع) من تبابعة اليمن ، فوقعت حرب أهلكت طسماً وجديساً ، وبقيت اليمامة خالية ، فحل بها (بنو حنيفة) الذين كانوا بها عند ظهور الإسلام ^٣ .

وذهب نفر من المستشرقين الى أن طسماً من الشعوب الخرافية التي ابتدعتها الأخباريون ، غير أنه لا يستبعد أن يأتي يوم قد يعثر فيه على أخبار هؤلاء القوم وعلى اسمهم في الكتابات . وقد وردت في نص يوناني عثر عليه في (صلخد) ، ويعود تاريخه الى سنة (٣٢٢ م) جملة (أنعم طسم) ، فلا يستبعد أن يأتي اليوم الذي نقرأ فيه نصوصاً تعود الى طسم ^٤ .

ويروي أهل الأخبار ان (الأسود بن رباح) ، وهو قاتل عمليق ، هرب بعد ذلك من اليمامة الى جبلي طيء ، فأقام بها الى أن جاءت طيء ، وأمر سيدهم (سامة بن لؤي) ابنه الغوث أن يقتل الأسود ، بعد أن رأوا ضخامة جسمه بالنسبة الى أجسامهم ، وخافوا منه ، فجاء اليه الغوث ، ثم أخذ يكلمه ، ثم باغته بأن رماه بسهم قتله ، واستقرت طيء بالجليلين ^٥ .

وذهب (جرجي زيدان) الى أن (طسماً) هي (لطوشيم) ^٦ ، وهي قبيلة من العرب ورد اسمها في التوراة على انها من نسل (ددان بن يقشان) وورد

١ الاغاني (١٠٣/١١) ، اللسان (٢٥٦/١٥) ، الاغاني (٤٥٧/١٠) ، الطبري (٢٠٦/١) ، دار المعارف .

٢ ابن خلدون (٢٤/٢) ، الطبري (٢٠٦/١) ، المعارف لابن قتيبة (١٣)
Enc., Vol. I, P., 992.

٣ وعند الطبري انه « تبان اسعد كرب ملكي كرب » ابن خلدون (٢٥/٢) ، المعارف (٣٠٨) ، الأمثال للميداني (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) الاغاني (٤٥/١٠)
(٨٩/١٠) « بيروت »

٤ D. H. Mueller, Suedarabische Studien, S., 67.

٥ ابن خلدون (٢٥/٢) ، الاغاني (٤٧/١٠) ، (٩٢/١٠) « طبعة بيروت » .

٦ الهلال ، الجزء العشرون ، السنة الخامسة ، حزيران ١٨٩٧ م ، (ص ٧٧٦)

معها اسم قبيلة أخرى من قبائل (ددان) دعيت بـ (Leummim) (لأميم) ،
يرى زيدان أنها (أميم)^١ .

ونسب الأخباريون الى طسم صنماً سموه (كثرى) ، لعله الصنم (كثرى)
الذي أدرك الإسلام ، فحطّم مع الأصنام الأخرى التي أمر الرسول بتحطيمها
تخلصاً من عبادة الأصنام ، فحطمت أينما وجدت ، وقد حطم الصنم (كثرى)
(نهشل بن الرئيس بن عرعة) ، ولحق بالنبي^٢ .

وقد ضرب أهل الأخبار المثل بـ (كلب طسم) . وذكروا قصته على هذا
النحو : كان لرجل من طسم كلب ، وكان يسقيه اللبن ويطعمه اللحم ويسمنه ،
يرجو أن يصيب به خيراً ويجرسه ، فجاء يوماً فهجم على صاحبه وأكله ،
فضرب به المثل فقيل : ستمن كلبك يأكلك^٣ .

وقد جاء ذكر طسم في شعر للحارث بن حلزة ، هو :

ألم علينا جرى إيراد كما قيل لطسم أخوكم الأبناء

وقد قال الأصمعي في شرحه : « كان طسم وجديس أخوين ، فكسرت جديس
على الملك خواجه ، فأخذت طسم بدين جديس »^٤ . فضرب لذلك بها المثل ،
لمن يؤخذ بجريرة غيره .

جديس :

وقالوا عن (جديس) أنهم حي من عاد ، وهم اخوة طسم ، أو أنهم

١ التكوين ، اصحاح ٢٥ ، آية ٢٣ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٩٣/٢) .

٢ قال عمرو بن صخر بن أشنع :
حلفت بكثري حلفة غير برة لتستليني اثواب قيس بن عاذب
الأصنام (ص ١١٠) ، تاج العروس (١٢٥/٢) .

٣ قال بعض الشعراء :
كلب طسم وقد يربيه يعله بالحليب في الفلس
ظل عليه يوماً يفرقه أن لا يلغ في الدماء ينتهس
الفاخر (ص ٥٧) .

٤ المللاني الكبير ، (١٠١١/٢) ، « طبعة حيدر اباد دكن » .

حي من العرب كانوا يناسبون عادة الأولى^١ . وقالوا انهم أبناء (جديس بن لاوذ ابن إرم بن سام بن نوح)^٢ ، أو أبناء (جديس) شقيق (ثمود بن غاثر ابن إرم بن سام بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من نسب^٣ . وقد كانوا أتباعاً لطسم ، ويسكنون معهم في اليمامة ، ثاروا على (عمليق) (عملوق) ملك طسم ، فكانت نهاية طسم كما كانت نهاية (جديس) ، ولذلك قيل « بوار طسم يبدئي جديس »^٤ .

ويذكر أهل الأخبار أن جديساً لما قتلت (عملوقاً) ومن كان معه من قومه طسم ، هرب رجل من طسم اسمه (رباح بن مروة) ، حتى أتى (حسان بن قبيص) ، فاستغاث به ، فخرج (حسان) في حَمِير ، فأباد جديساً، وأخرب بلادهم ، وهدم قصورهم وحصونهم^٥ . ويرى (كوسين دي برسفال) أن اغارة حمير المذكورة كانت حوالي سنة (٢٥٠) بعد الميلاد^٦ .

ويرتبط بخبر هذه الابادة قصة امرأة زعم انها كانت أقوى الناس بصراً ، ترى من مسافات بعيدة جداً ، عرفت به (زرقاء اليمامة) . وقد ورد قصص عنها ذكره أهل الأخبار^٧ .

وورد في بعض الأخبار أن (جذيمة الأبرش) كان قد حارب (طسماً)

١ اللسان (٣٥/٦) .

٢ الطبري (٧٧١/١) « طبعة أوربة » ، (٦٢٩/١) « دار المعارف » ، ابن خلدون (٢٤/٢) ، الاغانى (٤٨/١٠) ، المعارف (ص ١٤) ، « جديس بن عامر بن ازهر ابن سام بن نوح ، ابن الاثير الكامل (١٣٩/١) ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٦٧/١) ، « وجديس : حي من عاد ، وهم اخوة طسم . وفي التهذيب جديس : حي من العرب ، كانوا يناسبون عادة الاولى » ، اللسان (٣٣٣/٧)

٣ المصادر نفسها . Ency., Vol., I, P., 992.

٤ اللسان (٣٣٤/٧) ، الامثال ، للميداني (١٩٢/١) ، (٦٩٠/٢) ، الاغانى (١٦٤/١١) ، « دار الكتب المصرية » .

٥ الطبري (٦٢٩/١) فما بعدها ، « حسان بن اسعد تبع » ، شمس العلوم (الجزء الاول ، القسم الثاني) (ص ٣٠٧) .

٦ Caussin de Perceval, Essai, 2, P., 26, Ency., Vol., I, P., 992.

٧ وهناك قصة عن زرقاء أخرى ، كانت ترى من مسافة بعيدة ذكروها في تفرق ولد معد ، الاغانى (٣٦/١١ ، ١٥٥) ، « دار الكتب المصرية » ، مجمع الأمثال ، للميداني (١٢٠/١) ، الكامل ، لابن الاثير (٢٠٧/١) .

و (جديساً) ^١ .

ويذكر أهل الأخبار أن (حسان بن تبع) الذي أوقع بجديس ، هو (ذو معاهر) ، وهو (تبع بن تبع تبار أسعد أبي كرب بن ملكيكرب بن تبع بن أقرن) ، وهو أبو (تبع بن حسان) ، الذي يزعم أهل اليمن أنه قدم مكة ويثرب ، وأنه وجه ابنه (حسان) الى (السند) وابنه (شمر الجناح) (سمر) ، إلى آخر ذلك من قصص سأحدث عنه في أثناء الكلام على مملكة (حير وذي ريدان) ^٢ .

ويذكر أهل الأخبار أيضاً أن التي أبصرت جند (حسان) اسمها (اليامة) ، وكانت أول من اكتحلت بالإثمد ، ولهذا تكونت في عينيها عروق سود منه ، كانت هي السبب في نشوء حدة البصر عندها ، وأن (حسان) أمر ففقت عيناها لإدراك سبب حدة بصرها ، فاكتشف وجود الإثمد بهما، ويزعمون أنه أمر بابدال اسم (جو) مساكن طسم وجديس الى (اليامة) ، فعرفت بهذه التسمية مذ ذلك الحين ^٣ .

وإذا كان ما جاء في شعر الأعشى عن (اليامة) وعن حسان صحيحاً، فإن ذلك يدل على أن القصة المذكورة كانت شائعة معروفة في أيامه بل وربما قبل أيامه ، والظاهر أن أهل الأخبار قد أخذوا اسم اليامة من اسم المكان ، فصبروه لمرأة ذات بصر حديد . ونجد قصة (اليامة) ونجىء التبج في شعر للنمر بن توبل العسكلي ^٤ . ونجد اتفاقاً بين القول المنسوب الى اليامة في سياق القصة وبين قولها في الشعر المنسوب الى الأعشى وإلى النمر .

وقد ذكر (ابن دريد) أن (تبع) أرسل على مقدمته (عبد كلال بن مثوب بن ذي حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان) الى اليامة ، فقتل طسماً وجديساً . ولم يذكر اسم ذلك التبج ^٥ .

1 Enc., Vol., I, P., 992.

٢ « سمي ذا الجناح » في طبعة « دار المعارف » ، (٦٣٢/١) ، (شمر) في الطبقات الأخرى ، وفي المأورد الأخرى . وهو الصحيح .

٣ الطبري (٦٣٠/١) « دار المعارف » .

٤ ديوان الأعشى (٧٢ - ٧٤) ، الطبري (٦٣٠/١) وما بعدها ، الكامل ، لابن الأثير (٤٥١/١) .

٥ الاشتقاق (ص ٣٠٧ وما بعدها) .

ويعتقد بعض المستشرقين أن اسم (Jolisitae) أو (Jodisitae) الوارد في (جغرافيا بطليموس) إنما يقصد به قوم (جديس) ، وأنهم كانوا معروفين في حوالي سنة (١٢٠) بعد الميلاد^١ .

وقد نسب أهل الأخبار أماكن عديدة الى طسم وجديس ، وهي قرى ومدن ذكر أنها كانت عامرة آهلة بالسكان ذات مزارع ، وقد بقي بعضها في الإسلام ، ووصفه أهل الأخبار . وإذا صح أنها كانت لطسم وجديس حقاً ، وأنها كانت من أعمالهم ونتائجهم ، فإن ذلك يدل على ان القوم كانوا حضراً وعلى مستوى من الرقي ، ولم يكونوا بدواً على شاكلة الأعراب . وربما يعثر على كتابات في هذه المواضع تكشف اللثام عن حقيقة أصحاب هذه المواضع وهوية الأقوام التي عاشت فيها .

ومن الأماكن المذكورة (المشقر) ، وهو حصن بين نجران والبحرين على تل عال ، يقابله حصن سدوس ، وهو من أمكنة (طسم) . وقد نسب بعض الرواة بناءه — كعادتهم عند جهلهم أسماء الأماكن — الى سليمان ، وقد سكنته عبد القيس أهل البحرين^٢ . و (معنق) من قصور اليمامة على أكمة مرتفعة^٣ . و (الشموس) قيل : انه من بناء (جديس)^٤ .

ومن قرى اليمامة الشهيرة (حجر) ، وكانت لطسم وجديس ، والظاهر أنها كانت عامرة ذات قصور عالية كثيرة ، وأنها كانت محاطة بالمزارع ، وأنها بقيت مدة طويلة مهملة في وسط الرمال التي تكونت في تلك البقاع المنبتة الخصبية التي تحولت الى صحراء^٥ . و (القرية) (قرية بني سدّوس) ، وكان بها قصر عظيم من الصخر ، وقد زعموا انه كان من حجر واحد بناء جنّ سليمان^٦ . و (جعدة) وهي حصن ، وبها قصر قديم (عادي) ينسبونه الى طسم وجديس ، ويظهر انه ظلّ باقياً الى أيام (الهمداني) ، بدليل وصفه له في كتابه (صفة

1 Ptolemy, Geogr., I, 29, Libr., VIII, (Ed. Wilberg),
Ency., Vol., I, P., 992.

٢ البلدان (٦٥/٨) ، اللسان (٩١/٦) .

٣ البلدان (٦٥/٨) .

٤ البلدان (١٠٠/٨) .

٥ البلدان (٢٢١/٣) .

٦ البلدان (٧٦/٧ فما بعدها) ، الهمداني ، صفة (ص ١٤١) .

جزيرة العرب (والظاهر من وصفه أن الحصن كان عظيماً ، وأنه كان يحيط بالقرية ، وأن أساسه من اللبن وحوله منازل الحاشية للرئيس الذي يكون فيه ، وكان فيه الأثل والنخيل ، وحوله منازل الناس والسوق، ويحيط بالقرية خندق ، وفي السوق آبار . قال الهمداني : أنها مثنان وستون بشراً ماؤها عذب فرات^١ . و (خضراء حجر) ، وهي حضور (طسم) و (جدیس) ، وفيها آثارهم وحصونهم وبتلهم ، الواحد بتيل ، وهو مربع مثل الصومعة مستطيل في السماء من طين . وقد بولغ في وصف ارتفاع هذه (البتل) وطولها ، حتى زعم أن ارتفاع ما تبقى منها الى أيام الهمداني كان قد بلغ مئتي ذراع في السماء^٢ . و (الحضرة) ، وكانت لجديس ، وبها آثار قديمة كثيرة^٣ ، و (الهدار)^٤ و (ريمان)^٥ .

أميم :

وجعل الأخباريون (أميماً) في طبقة طسم وجديس ، وقالوا أنهم من نسل (لاوذ بن عمليق)^٦ ، أو (لوذ بن نوح) ، أو ما شابه ذلك من شجرات نسب^٧ . وكان من شعوبهم على زعم أهل الأخبار (وبار بن أميم) ، نزلوا برمّل (عالج) بين اليمامة والشحر ، وانهارت عليهم الرمال فأهلكتهم^٨ . ويزعم أهل الأخبار أن ديار (أميم) كانت بأرض فارس ، ولذلك زعم بعض نسبة الفرس أنهم من (أميم) ، وإن (كيومرت) الذي يُنسَبون إليه هو ابن أميم ابن لاوذ^٩ .

-
- ١ الهمداني : صفة (ص ١٤١) .
 - ٢ صفة (١٤١) .
 - ٣ صفة (١٤١) .
 - ٤ صفة (١٤١) .
 - ٥ صفة (١٤١) .
 - ٦ الطبري (٢١٤/١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، (٢٠٣/١ وما بعدها) ، « دار المعارف » .
 - ٧ طبقات ابن سعد (١/١ ص ١٩) .
 - ٨ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .
 - ٩ ابن خلدون (٢٨/٢) .

ولا نعرف من أمر أميم شيئاً غير هذه التتف ، ولم يذكر الأخباريون كيف عدوهم من طبقة العرب الأولى اذا كانت ديارهم بأرض فارس ، ولم يشرحوا لنا كذلك كيف وصلوا نسب (وبار) بأميم ، وما العلاقة بينهما .

وقد ذكر الهمداني أن وبار هو شقيق (كيومرت) ويقال (جيومرت) ، وقد أولدهما (أميم) . وبوبار عرفت أرض (وبار) ، وهي أرض أميم^١ .

وجاء في جغرافيسا (بطلميوس) اسم شعب عربي دعسي (Iobaritai) (Jobaritae) (Jobabite) ، على انه من شعوب العربية الجنوبية ، ويسكن على مقربة من أرض قبيلة أخرى دعاها Sachalitae ، وتقتن عند خليج يدعى باسمها (Sinus Sachalits)^٢ . وهذا الاسم قريب جداً من اسم (وبار) ، لذلك ذهب المستشرقون الى أن (Jobaritae) ، هو شعب وبار^٣ أو (بنو وبار)^٤ . غير أن هنالك عدداً من العلماء يرون أن الاسم الأصلي الذي ورد في جغرافيسا بطلميوس هو (يوباب) ، غير أن النساخ قد أخطأوا في النسخ فحرفوا حرف الباء (B) الثاني في هذا الاسم وصيروه راء (R) ، فصار الاسم بعد هذا التحريف (Jobabite)^٥ . فالشعب الذي قصده بطلميوس - على حد قول هؤلاء - هو (يوباب) أو (يباب) ، الا انه لا يوجد هنالك دليل قوي يثبت حدوث هذا التحريف^٦ .

وفي موضع ليس ببعيد عن هذا المكان الذي ذكره بطلميوس تقع أرض وبار الشهيرة ، وهي بين رمال يبرين واليمن « ما بين نجران وحضرموت وما بين مهرة والشحر » ، أو ما بين الشحر الى تخوم صنعاء . وقيل : « قرية وبار كانت لبني وبار ، وبين رمال بني سعد وبين الشحر ومهرة » ، والنسبة اليها

١ الاكليل (٧٧/١) ، « ولحقت أميم بارض اباد فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر ، ولا يصل اليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وانما سميت ابار بآبار بن أميم » ، الطبري (١ / ٢٠٨) « دار المعارف » .

٢ Forster, Vol., I, P., 173. f., Vol., 2, P., 270. Ptolemy, VI, 7, Glaser, Skizze, 2, S., 256.

٣ Ritter, Erdkunde, Berlin, 1896, Bd., XIII, S., 315, Sprenger, Geographie, S. 296.

٤ الطبري (٧٥/١) « طبعة أوربة » .

٥ Forster, Vol., I, P., 177.

٦ Forster, Vol., I, P., 173, Vol., 2, P., 270.

(أباري) ١ . ونرى ان هذه النسبة قريبة من الاسم الذي ذكره بطلميوس ..
ويدعي (باقوت الحموي) انها مسماة بـ (وبار بن إرم بن سام بن نوح) ٢ .
وقد روت الكتب العربية قصصاً كثيرة عن (وبار) ، ومن جملة الأساطير
التي تروى عنها أسطورة (النسناس) . وتتلخص في أنهم (من ولد النسناس بن
أميم بن عمليق بن يلمع بن لاوذ بن سام) ، وأنهم كانوا في الأصل بشراً ،
فجعلهم الله نسناً ، للرجل منهم نصف رأس ونصف وجه وعين واحدة ويد واحدة
ورجل واحدة ، وأنهم صاروا يرعون كما ترعى البهائم ، وأنهم يقفزون قفزاً
شديداً ويعدون عدواً منكراً ٣ . والظاهر أن لهذه القصص والأساطير أصولاً
جاهلية ، وقد وضع منها في الإسلام شيء كثير ، ووضع معها شعر كثير على
لسان ذلك (الإنسان الحيوان) ، ولا يزال الناس يروونها حتى الآن .

وقد أنكر بعض المستشرقين ، وجود وبار ، وزعموا أنهم من الشعوب التي
ابتكر وجودها القصص قائلين إن تلك الرمال الواسعة المخيفة هي التي أوحى
إلى القصص والأخباريين لمختراع شعب (وبار) وقصص النسناس ٤ . والذي
أراه أن هذا لا يمنع من وجود شعب بهذا الاسم ، وإن كنا لا نعرف من أمره
شيئاً إلا هذه القصص والأساطير . وقديماً أنكروا وجود عاد وثمود ، ثم اتضح
بعد ذلك من الكتابات وجود عاد وثمود . وهكذا قد يعثر في المستقبل على كتابات
وبارية لعلها تلقي ضوءاً على حالة ذلك الشعب .

ونجد في رواية أهل الأخبار عن عمار (وبار) وكثرة زروعها ومراعيها ومياها
في الجاهلية شيئاً من الأساس . فقد أيد السياح ذلك ، وأثبتوا وجود أثر من
آثار عمران قديم ٥ . وهو سند يتخذ القائلون بتطور جو بلاد العرب ، وسطحها
لإثبات رأيهم في هذا التغيير .

١ البلدان (٣٩٢/٨) فما بعدها ، منتخبات (ص ١١٣) ، « ولحق أميم بارض
وبار فهلكوا بها ، وهي بين اليمامة والشحر . ولا يصل اليوم إليها أحد ، غلبت
عليها الجن . وانما سميت أبار بآبار بن أميم » ، طبقات ابن سعد (١ : ١) ، قسم
١ (ص ٢٠) .

٢ البلدان (٣٩٢/٨) .

٣ البلدان (٣٩٢/٨) فما بعدها ، القزويني ، عجائب المخلوقات (٤١/٢) ، « طبعة
وستنفذ » ، المسعودي ، التنبيه (ص ١٨٤) ، صفة (١٥٤ ، ٢٢٣) .

٤ Sprenger Geogr., S. ٣٥٥.

٥ Enc., Vol., 4, P., 1077, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, P., 353.

ولم يذهب اسم (وبار) من ذاكرة سكان العرب حتى هذا اليوم . فهم يروون أن في الربع الخالي موضعاً منكوباً هو الآن خراب ، هو مكان (وبار) . وقد قاد بعض الأعراب (فليبي) الى موضع في الربع الخالي ، قال له عنه إنه مكان (وبار) المدينة التي غضب الله عليها ، فأنزل بها العقاب، وصارت خراباً . وقد تبين لـ (فليبي) أن ذلك الموضع هو فوهة بركان ، قذف حمماً ، فبان أن الأرض المحيطة به وكأنها خرائب تولدت من حريق^١ . وتحدث أعراب آخرون للسائح (برترام توماس) عن مكان آخر يقع في جنوب شرقي هذا الموضع بمسافة (٢٠٠) ميل ، قالوا له إنه مكان (وبار) المدينة المفقودة المنكوبة كما عثر رجال شركة (أرامكو) على موضع في البادية وذلك في سنة ١٩٤٤ ؛ زعم لهم الأعراب انه مكان وبار، مما يدل على أن الأعراب يطلقون اسم وبار على مواضع عديدة تقع في البوادي . والبوادي أنسب مكان يليق في نظرهم بأن يكون موطن وبار^٢ .

عيبيل :

و (عيبيل) مثل أميم لا نعرف من أمرهم غير نتف ذكرها الأخباريون الذين زعموا أنهم اخوان عاد بن عوص ، أو اخوان عوص بن إرم ، وأنهم لحقوا بموضع (يثرب) حيث اختطوا يثرب . وكان الذي اختطها منهم رجل يقال له (يثرب بن باثلة بن مهلهل بن عيبيل)^٣ . ثم ان قسماً من العماليق انحدروا الى يثرب ، فأخرجوا منها عيبلاً ، فتركوا موضع (الجحفة) ، فأقبل سيل فاجتفهم فذهب بهم فسميت (الجحفة)^٤ .

وقد ورد في التوراة اسم ولد من أولاد (يقطان) ، هو (Obal) (عوبال)

Philby, The Empty Quarter, P., 165, R. H. Sanger, The Arabian Peninsula, P., 126, 132.

Sanger, The Arabian Peninsula, P., 132.

٢ ابن خلدون (٢١/٢) ، « وعاد وعيبيل ابنا عوص بن إرم بن سام بن نوح » ، طبقات ابن سعد (ح ١ ، قسم ١ ص ١٩) .

٤ ابن سعد ، طبقات (ح ١ قسم ١ ص ٢٠) ، البلدان (٦٢/٣) .

أو (Ebal) ^١ . وهذا الاسم قريب من (عيبيل) ، لذلك رأى بعض علماء التوراة أن من الممكن أن يكون (عيبيل) هو (عوبال) ^٢ . ونجد في جغرافيا بطلميوس اسم موضع يقال له Avalitae على خليج يدعى بهذا الاسم (Avalites Sinus) وعليه مدينة تسمى (Avalites Emporium) ، وسكانها يعرفون باسم (Avalites) . وقد ورد هذا الاسم عند (بلينيوس) على صورة (Abalite) و (Abalites) ، ويرى (فورستر) أن من المحتمل أن يكون هؤلاء هم (عوبال) ^٣ وقد يكون أبناء عوبال هم عيبيل .

وذكر أن في اليمن مكاناً يقال له عيبيل ^٤ ، وقرية تقع على طريق صنعاء تعرف بـ (عبال) ^٥ . وهذان الاسمان قريبان من اسم عيبيل . غير أنني لا أريد أن أقول الآن شيئاً فيما يخص (عبيلا) ، فلا يجوز الحكم في مثل هذه الأمور لمجرد تشابه الأسماء ، وإنما ذكرت ذلك للمناسبة العارضة وللتنبية .

وأما عبد ضخم ، فكانت تسكن على قول الأخباريين الطائف ، وهلكوا فيمن هلك من الشعوب البائدة ، وكانوا أول من كتب بالخط العربي ^٦ . وذكر الطبري أنهم حي من عبس الأول ^٧ .

ويذكر أهل الأخبار أن (أمية بن أبي الصلت) ذكر (بني عبد ضخم) في شعره ، اذ قال فيهم :

كما أفي بني عبد بن ضخم فما يذكر لصالها شهاب
بني بيض ورهط بني معاذ وفيهم عزة وهم غلاب ^٨

١ أخبار الأيام الأول ، الأصحاح الأول ، آية ٢٢ ، التكوين ، الأصحاح العاشر ، آية ٢٨ .

٢ Hastings, P., 201, Ency., Bibl., P., 2462, M. Gottfried Buchner's Biblische Real und Verbal Hand., S., 276

٣ Forster, Vol., I, P., 148, 149.

٤ Glaser, Skizze, 2, S., 426.

٥ Scott The High Yemen, P., 185.

٦ ابن خلدون (٢١/٢) ، « عبد ضخم بن ارم » .

٧ « وكان ساكني الطائف بنو عبد ضخم ، حي من عبس الأول » ، الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف » .

٨ الاكليل (٧٥/١) .

وقد ذكر الهمداني أن (ابن الكلبي) يرى أن (عبد ضخم) و (بيض) ،
وهما حيّان ، هما اللذان وضعا الكتاب العربي ، وذكر الهمداني أن الشاعر
(حاجز الأزدي) ضمن هذا الرأي بقوله :

عبد بن ضخم اذا نسبتهم وبيض أهل العلوة في النسب
ابتدعوا منطقاً لخطهم فبين الخط لهجة العرب^١

جرهم الأولى :

وجرهم هؤلاء ، هم غير (جرهم) القحطانية على رأي النسابين والأخباريين ،
ولذلك يقولون لجرهم هذه (جرهم الأولى) ، ولجرهم القحطانية (جرهم
الثانية) ، ويقولون عن الأولى إنهم من طبقة العرب البائدة ، وأنهم كانوا على
عهد عاد وممود والعاقلة^١ . ويظهر من روايات الأخباريين أنهم كانوا يقيمون
بمكة ، ويرجعون أنسابهم الى (عابر) ، وأنهم أبيدوا : أبادهم القحطانيون^٢ .
أما جرهم الثانية ، أي جرهم القحطانيين فينسبهم بعض أهل الأخبار الى
(جرهم بن قحطان بن هود) وهم أصهار اسماعيل^٣ .
وقد ورد اسم (جرهم) عند (اصطيفان البيزنطي) من الكتبة اليونان^٤ .

العاقلة :

وحشر الأخباريون العاقلة (العاليق) في هذه الطبقة أيضاً ، فنسبهم الى
(عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح)^٥ . ولم تذكر التوراة أصلهم ونسبهم ،

١ الاكليل (٧٨/١) .

٢ Enc., Vol., I, P., 1066.

٣ ابن خلدون (٣٠/٢) ، صبح الاعشى (٣١٤/١) ، Enc., Vol., I, P., 1066.

٤ شمس العلوم (ج ١ ، ق ١ ، ص ٣٢٢) .

٥ Enc., Vol., I, P., 1066.

٦ الطبري (٢١٣/١ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠) ، « طبعة أوربية » .

وهي لا تشير الى أبناء (لود) أو (لاوذ) كما يقول له الأخباريون^١.

(وعليق) جد العمالة ، هو شقيق طسم . ويذكرون أنهم كانوا أئماً كثيرة ، تفرقت في البلاد ، فكان منهم أهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر . ويعرف أهل عمان والبحرين بـ (جاسم) ، وجاسم هم من نسل عليق على زعم أهل الأخبار . وكان من العمالة أهل المدينة ، ومنهم (بنو هف) و (سعد ابن هزان) و (بنو مطر) و (بنو الأزرق) . وكذلك سكان نجد ، ومنهم بديل وراحل وغفار ، وكذلك أهل تيماء^٢ .

وكان ملكهم (الأرقم) ، وهو من العمالة^٣ . وهو من معاصري (موسى) على رواية الهمداني . وقد أرسل (موسى) عليه جنداً لمقاتلته ففتك بأتباعه أهل تيماء وببقية عمالة الحجاز^٤ .

ويذكر بعض أهل الأخبار أن (العاليق) لحقت بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضهم الى يثرب ، فأخرجوا منها (عبيلاً) ، وسكنوا في ديارهم ، وذهبت (عيل) الى موضع (الجحفة) ، فأقبل السيل فاجتحفهم ، فذهب بهم ، فسميت الجحفة^٥ . وذكروا أن (موسى) أرسل جيشاً لحرب عماليق يثرب^٦ ، ولم نجد في التوراة ذكراً لمثل هذا الجيش ، أو الحرب .

والعمالة الذين نتحدث عنهم ، هم عرب صُرحاء ، من أقدم العرب زماناً ، لسانهم اللسان المصّري الذي هو لسان كل العرب البائدة على حد قول أهل الأخبار^٧ . بل زعم بعضهم أن عمليقاً، وهو أبو العمالة ، أول من تكلم بالعربية حين ظعنوا من بابل ، فكان يقال لهم ولجرحهم (العرب العاربة)^٨ .

ويظهر من فحص هذا المروي في كتب الأخباريين عن العمالة ونقده أنه مأخوذ من منابع يهودية ، فقد ذكر العمالة في التوراة ، وقد كانوا اول شعب

١ قاموس الكتاب المقدس (١١٢/٢) فما بعدها) ،
Hastings, P., 24, The Unt. Jew. Enc., Vol., I., P., 218.

٢ الطبري (٢٠٣/١) « دار المعارف »

٣ الطبري (٢٠٣/١)

٤ الاكليل (٧٤/١) وما بعدها) .

٥ الطبري (٢٠ / ١) .

٦ Enc., Vol., I, P., 325.

٧ الطبري (٢٠٣/١) فما بعدها) .

٨ الطبري (٢٠٧/١) فما بعدها) .

صدم العبرانيين حينما خرجوا من مصر متجهين الى فلسطين^١ . وظلوا يحاربونهم ، ويكيدونهم خسائر فادحة ، وأوقعوا الرعب في نفوسهم ، ولهذا ثار الحقد بينهم على العاليق . ويتجلى هذا الحقد في الآيات التي قالها النبي (صموئيل) لشاؤول (Saul) أول ملك ظهر عند العبرانيين ، قالها لهم باسم اسرائيل : « لمايى أرسل الرب لمسحك ملكاً على شعبه اسرائيل . والآن فاسمع صوت كلام الرب . هكذا يقول رب الجنود . اني افتقدت ما عمل عمليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر . فالآن اذهب واضرب عماليق ، وحرّموا كل ماله ، ولا تعف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقرأً وغنماً ، جملاً وحماراً »^٢ . وهذا الحقد هو الذي جعلهم يخرجونهم من قائمة النسب التي تربطهم بالساميين .

وقد كانت منازل العالقة من حدود مصر فطور سيناء الى فلسطين . وعدم ذكر العبرانيين لهم في جملة قبائل العرب لا يدل على أنهم لم يكونوا عرباً ، فقد ذكرت أن العبرانيين لم يطلقوا لفظة (عرب) الا على الأعراب ، أعراب البادية ، ولا سيما بادية الشام^٣ . ثم ان العالقة من أقدم الشعوب التي اصطدم بها العبرانيون ، وحلوا حقداً عليها ، وهم عندهم وفي نظرهم أقدم من القحطانيين والإسماعيليين .

حضورا :

وأورد أهل الأخبار قصصاً عن (حضورا) ، فذكروا أن (حضورا) كانوا يقيمون بالرس^٤ ، وكانوا يعبدون الأوثان ، وبعث اليهم منهم نبي منهم اسمه (شعيب بن ذي مهراع) ، فكذبوه ، وهلكوا^٥ .
وهناك عدة مواضع يقال لها (الرس) منها موضع باليامة ، وموضع كان فيه ديار نفر من ثمود^٥ .

١ Musil, Hegaz, P., 460, The Uni. Jew. Enc., Vol., I, P., 218.

٢ صموئيل الاول ، الاصحاح الخامس عشر ، الآية ١ فما بعدها .

٣ Hastings, A. Dictionary of the Bible Vol., I, P., 77.

٤ ابن خلدون (٢٠/٢) ، نهاية الارب (٨٦/١٣) فما بعدها ، « قال كعب : ان

اصحاب الرس كانوا بحضرموت » ، نهاية الارب (٨٨/١٣) .

٥ البلدان (٢٥٠/٤) .

وورد في القرآن الكريم (أصحاب الرس)^١ ، مع عاد وثمود ، وذهب المفسرون الى أنهم كانوا جماعة (حنظلة) ، وهو نبي ، فكفروا به ورسّوه في البشر^٢ ، الى غير ذلك من الأقوال .

ويظهر من القرآن الكريم أن (أصحاب الرس) كانوا مثل جماعة عاد وثمود في الطبقة ، أي في زمانهم ، وأنهم هلكوا أيضاً . وقد ذكر بعض أهل الأخبار أن نبي (أصحاب الرس) هو (خالد بن سنان) ، وقد ذكروا أن الرسول ذكره ، فقال فيه : « ذلك نبي ضيعة قومه »^٣ .

وذكر (الهمداني) أن (حنظلة بن صفوان) كان نبياً في اليمن ، وقد أرسل الى سبأ ، وكان من (الأقيون) ، وهم بطن دخل في (حمير) ، وذكر أنه وجدت عند قبره هذه الكتابة : « أنا حنظلة بن صفوان . أنا رسول الله . بعثني الله الى حمير وهمدان والعريب من أهل اليمن ، فكذبوني وقتلوني » . وأنه أنذر قومه (سبأ) برسائله فكذبوه ، فلما كذبوه، أرسل الله عليهم سيل العرم^٤ . وذكر (الهمداني) أيضاً نقلاً عن (ابن هشام) أن (حنظلة بن صفوان ابن الأقيون) ، هو ، نبي الرّسّ ، والرس بناحية صبيد ، وهي بلدة منحرفة ما بين بيحان ومأرب والجوف، فنجران فالعقيق فالدهناء ، فراجعا الى حضرموت. وذكر أيضاً أن الرس ، بمعنى البشر القليلة الماء ، وأن أهل الرس قبائل من نسل أسلم ويامن أبو زرع ورعويل وقدمان ، وهم من نسل قحطان . وقد كذبوا نبينهم (حنظلة) وقتلوه وطرحوه في بحر رس ماؤها^٥ .

وروى أهل الأخبار أن (بنخنصر) (نبوخذ نصر) غزا أهل (حضور) (حضوراء) وأعمل فيهم السيف وأجلى خلقاً منهم الى أماكن أخرى ، لأنهم كفروا وجحدوا نبوة نبي منهم أرسله الله اليهم ، وهو (شعيب بن مهلم بن ذي مهلم بن المقدم بن حضور) ، ولم يصدقوه ، وكانوا أصحاب بطش وشدة

١ « وعادا وثمودا وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا » ، الفرقان ، ٢٥ ، آية

٣٨ ، « كذبت قبلهم قوم نوح ، وأصحاب الرس وثمود » ، ق ، ٥٠ ، آية ١٢ .

٢ البلدان (٢٥٠/٤) ، قصص الانبياء (١٤١) ، حياة الحيوان ، للدميري ،

مادة عنقاء نهاية الارب (٨ / ١٣) ، Enc., Vol., I, P., 479.

٣ الاصابة (٤٦٨/١) .

٤ الاكليل (١٢٠/١) وما بعدها .

٥ الاكليل (١٢١/١) وما بعدها .

وغلظة . فلما قتلوه ، أوحى الله الى نبي في عصره هو (برخيا بن أخيا بن رزنائيل ابن شالان) ، وكان من سبط (يهوذا بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم الخليل) ، أن يأتي (بختنصر) ، فيأمره بغزو (العرب الذين لا أخلاق لبيوتهم ولا أبواب) ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ، ويستبيح أموالهم . فأقبل (برخيا) من نجران ، حتى قدم على (بختنصر) ، وذلك في زمان (معد بن عدنان) ، فوثب (بختنصر) على من كان في بلاده من العرب ، وجمع من ظفر به منهم ، فبنى لهم حبراً على النجف وحصنه ، ثم ضمهم فيه ، ووكل بهم حرساً وحفظه ، ثم سار في بلاد العرب فالتقى بعدنان بذات عرق ، فهزم (بختنصر) عدنان ، وسار الى (حضور) ، فانهزم الناس وفروا فرقتين : فرقة أخذت الى (ريسوب) وعليهم (عك) ، وفرقة قصدت وبار. أما الذين بقوا في (حضور) ، وحاربوا (بختنصر) فقد احتصدتهم السيوف . ثم رجع ملك بابل بما جمع من السبايا ، فألقاهم بالأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط ، ومات عدنان . فلما مات (بختنصر) ، خرج (معد بن عدنان) حتى أتى مكة ، ثم ذهب الى (ريسوب) فاستخرج أهلها ، وسأل عمن بقي من ولد (الحارث بن مضاض الجرهمي) وهو الذي قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثر جرهم على يديه - فقليل : بقي (جرشم بن جلهمة) ، فتزوج معد ابنته (معانة) ، فولدت له (نزاراً) ١ .

وأهل حضور الذين قتلوا نبيهم ، وقتلهم (بختنصر) هم شعب من أهل اليمن على رأي الأخباريين ، كانوا يقيمون الحضور أو (حضوراء) . وفي اليمن موضع يسمى (حضور) ، ينسبه أصحاب الأخبار الى (حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حير بن سبا) ٢ ، وذكروا أنه المكان الذي قصده (بختنصر) ، فقتل أهله ٣ . وعلى هذا المكان مسجد يزار حتى اليوم ، يقال له مسجد شعيب نبي أصحاب الرس ٤ . وهو جبل من جبال اليمن المقدسة ،

- ١ الطبري (٢٩١/١ وما بعدها) ، (٥٥٩/١) « دار المعارف » .
- ٢ « حضور بن عدي بن مالك بن زيد بن سدد بن حير بن سبا » ، البكري ، معجم (٤٥٦/٢) « طبعة السقا » ، اللسان (٢٧٨/٥) .
- ٣ البلدان (٢٩٦/٣) .
- ٤ الأكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » ، Enc., Vol., 2, P., 210.

قال الهمداني : (وأما الجبال المقدسة عند أهل اليمن ، فجبل حضور وصنّين ورأس بيت فاثش من رأس جبل تخلى ورأس هنوم ورأس تعكر ورأس صبر . وفي رؤوس هذه الجبال مساجد مباركة مأثورة)^١ .

وأرى أن قداسة هذه الجبال وردت إليها من الأيام التي سبقت الإسلام ، من أيام الوثنية ، وأن المساجد التي أنشئت في رؤوسها ، إنما أنشئت فوق معابد قديمة ، لعبادة الأصنام ، وذلك كما حدث في أماكن أخرى من جزيرة العرب حيث اكتسبت بعض المعابد الوثنية القديمة قدسية خاصة . فلما جاء الإسلام ، ألبست ثوباً إسلامياً ، فبقيت حية ، وتحولت بمرور الزمن إلى مزارات ومساجد تقام فيها الصلوات .

وقد اعتمد رواية خبر غزو (بختنصر) لأهل (حضور) على ما جاء عن (ابن الكلبي) و (ابن اسحاق) ونفر آخر ممن عرفوا بروايتهم هذا النوع من الروايات التي تعرف من معين الإسرائيليات . وما بنا حاجة أبداً إلى البحث في أسماء رواة لمعرفة صلته بالتوراة . فالمسألة جد واضحة . خذ التوراة واقراً ما جاء في أسفار (أرميا) ونبوءته ، تجد القصة مكتوبة في السفر التاسع والأربعين : (عن قيذار وعن ممالك حاصور التي ضربها نبوخذ راصر^٢ ملك بابل . هكذا قال الرب : قوموا اصعدوا إلى قيذار ، اخربوا بني المشرق . يأخذون خيامهم وغنمهم ، ويأخذون لأنفسهم شققهم وكل آتيتهم وجاهلهم ، وينادون اليهم الخوف من كل جانب .

« اهربوا ، انهزموا جداً ، تعمقوا في السكن يا سكان حاصور ، يقول الرب ، لأنّ نبوخذ راصر ملك بابل قد أشار عليكم مشورة ، وفكر عليكم فكراً . قوموا إلى أمة مطمئنة ساكنة آمنة . يقول الرب لا مصاريع ولا عوارض لها . تسكن وحدها وتكون جلالهم نهياً ، وكثرة ماشيتهم غنيمة ، وأدرى لكل ريح مقصوص الشعر مستديراً ، وآتى بهلاكهم من كل جهاته يقول الرب . وتكون حاصور مسكن بنات آوى ، إلى الأبد ، لا يسكن هناك انسان ، ولا يتغرب فيها ابن آدم^٣ . »

١ الاكليل (١٢١/٨) « طبعة نبيه » .

٢ « نبوخذ راصر » « بختنصر » (نبوخذ نصر) .

٣ ارميا ، اصحاح ٤٩ ، آية ٢٨ وما بعدها .

أما النبي (برخيا) الذي زعم الأخباريون أنه هو الذي أشار على (بختنصر) بغزو (حضور) ، فهو « باروخ بن نيريا (نريا) بن محسبا » شقيق (سرايا) (Seraiah)^١ . وقد كان كاتباً ، محباً مخلصاً للنبي (أرميا)^٢ ، وكان يكتب لأرميا ، وهو الذي كلفه النبي (أرميا) بالذهاب الى (بختنصر) حاملاً رسالة الى الملك^٣ . وهي الرسالة المدونة في أسفار (أرميا) . وقد ذهب الى بابل وقابل الملك ، ثم عاد الى القدس حيث هاجم (بختنصر) القدس واستولى عليها بتحريض من هذا النبي نبي العبرانيين !

تري أن الأخباريين أخذوا قصة غزو (بختنصر) لحاصور ، القصة الواردة في أسفار (أرميا) ، وجعلوها غزواً لشعب (حضور) في اليمن ، وهو موضع بعيد لا يعقل وصول (بختنصر) اليه ، وأضافوا اليه شيئاً من الزخارف التي وضعها (ابن الكلبي) أو غيره ، كإقحام اسم عدنان ومعد بن عدنان واسم نبي عربي جنوبي في القصة ، ولم يكفهم ذلك ، فجعلوا (برخيا) من أهل (نجران) ، وجعلوه يقطع المسافة ما بين نجران وبابل ، ليكلف (بختنصر) غزو العرب . وصيروا (حاصور) (حضور) الواردة في (أرميا) (حضور) و (حضوراء) ، وجعلوه في اليمن ، ولم ينسوا البحث عن سبب ، فجعلوه اعتداء أهل (حضور) على نبيهم .

أما (حاصور) التوراة ، فإنها أرضون تقع في (العربية) ، كانت فيها ممالك صغيرة ، أو مشيخات ، كما يفهم ذلك من عبارة (أرميا) « وعن ممالك حاصور »^٤ . وكانت تتاخم (قيدر) ولعلها كانت في البادية^٥ . ويرى علماء التوراة أن سكانها كانوا من أهل المدر ، ويقيمون في بيوت ثابتة ، وقد أطلقت كلمة (حاصور) (Hazor) عليهم تمييزاً لهم عن أهل الوبر ، وكانت ديارهم في جنوب فلسطين أو شرقها^٦ .

- ١ أرميا ، اصحاح ٢٥ ، الآية ٥٩ .
- ٢ أرميا ، اصحاح ٣٢ ، الآية ١٢ ، قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) ، وقد سجن مع أرميا في القدس وكانا يعارضان الملك « يهو ياقيم »
« ٦٠٤ ق.م » ، Hastings, P., 85, Enc., Bibl., P., 491.
- ٣ قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤/١) .
- ٤ أرميا ، اصحاح ٤٩ ، الآية ٢٨ .
- ٥ Hastings, P., 334.
- ٦ Enc., Bibl., P., 1978.

وتعني كلمة (حاصور) (Hazor) (Hasor) وجمعها (Hazerim) (Haserim) ما تعنيه لفظة (حيرتا) (Herta) في الإرمية و (الحيرة) في العربية ، من معنى (محاط) أي (محصور) (محاصر) ، بمعنى الحصن أو الأمكنة المحاطة المحصورة أو (المضرب) و (الحمى) . وقد كان مشايخهم يقيمون في أسياف البادية في نخبات ومضارب مع أتباعهم ، فهي في معنى (حيرتا) عند بني لارم و (Parembolles) عند اليونان^١ . وكانوا يرعون الماشية من ماعز وأغنام وجمال في مناطقهم التي اعتادوا الإقامة بها ، ويظهر أنهم تعرضوا للجيش (مختنصر) ، أو أنهم لم يساعدوه في حملته على فلسطين ، فاغتاظ منهم ، وجرد عليهم حملة ، وكان من عادتهم الالتجاء الى الكهوف والمغاور حين مهاجمة عدو لهم ، حيث يذهبون الى مناطق بعيدة يصعب على الجيوش مطاردتهم ، فيتخذون منها مواطن آمنة ويعيشون فيها ما دام الخطر^٢ .

ولم يكن للأخباريين علم دقيق بما يرد في التوراة من أمور ، فلم يفطنوا أن من غير الممكن أن يكون أهل (حاصور) من أهل اليمن ، لأن ذكر التوراة لهم مع (قيدار) يجعل مواضعهم في شمال جزيرة العرب ، ثم إن اليمن بعيدة جداً عن (مختنصر) ، ولا يعقل أن يكون في امكان جيوشه الوصول بسهولة الى هناك . ثم إن الكتب اليهودية تصور (حاصور) في مكان في العربية الشمالية في جوار أرض (قيدار) ، ولم يكن لها علم واسع عن اليمن ، كما أن (باروخ) من القدس ولم يكن من أهل نجران .

ويظهر أن حرباً قديمة ماحقة ، أو كارثة طبيعية مثل زلزال أو هياج حرة ، وقعت في (حضور) اليمن ، سبب تلفها وانزال خسائر كبيرة بها وبأهلها ، فترك ذلك أثراً عميقاً في ذاكرة الناس ، رواه كابر عن كابر ، فوجد الأخباريون الذين وقفوا على أخبار التوراة ، أو كانوا يجالسون أهل الكتاب ويسألونهم ، شبيهاً بين (حاصور) و (حضور) ، وظنوا جهلاً بالطبع بما ورد في (أرميا) عن (حاصور) ، أن (حاصور) التوراة (حضور) اليمن ، ثم أضافوا الى ذلك ما شاءوا على طريقتهم في أمثال هذه المناسبات .

Musil, Deserta, P., 490.

Musil, Deserta, P., 490, Montgomery, Arabia and the Bible, P., 64.

هلاك العرب البائدة :

هذا ويلاحظ أن هلاك العرب البائدة كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بهم مثل انحباس المطر جملة سنين مما يؤدي الى هلاك الحيوان وجوع الإنسان ، واضطراره الى ترك المكان والارتحال عنه الى موضع آخر ، قد يجد فيه زرعاً وماءً وقوماً يسمحون له بالنزول معهم كرهاً لقوته ولتغلبه عليهم ، أو صلحاً بأن يسمح الأقدمون له بالنزول في جوارهم لاتساع الأرض وللفادة المرجوة للطرفين . وقد يتفرق ويتشتت بين القبائل ، فيندمج فيها بمرور الزمن ويلتحق بها في النسب والعصبة ، فيكون نسبه النسب الجديد . وبذلك ينظم ذكر القبيلة القديم والأصل الذي كان منه . وقد لا يبقى منه غير الذكريات ، كالذي رأيناه من أمر القبائل البائدة .

وقد تكون الكارثة هيجان حرّات وهبوب عواصف رملية شديدة عاتية تستمر أياماً واهتزازات أرضية في الأرضين غير المستقرة ، مما يلحق الأذى بالناس . ومن هنا نجد ذكر هذه الكوارث في القرآن الكريم وفي الأخبار الواردة عن هلاك القبائل المذكورة فيه ، أو التي لم ترد فيه ، وانما يذكر أسماءها أهل الأخبار . هذا وقد ألفت بعض أهل الأخبار كتباً في بعض العرب البائدة ومن هؤلاء (عبيد بن شريّة الجُرهمي) ، و (ابن الكلبي) ، فقد ذكر ان لهذا مؤلفاً دعاه (كتاب عاد الأولى والآخرة) و (كتاب نغرق عاد)^١ ، ومنهم (أبو البخري) و (وهب بن وهب بن كثير) فله (كتاب طسم وجديس)^٢ وغير ذلك . والغالب على هذه المؤلفات كما يظهر من الاقتباسات منها والمبثوثة في الكتب الباقية ، انها ذات طابع أسطوري .

١ الفهرست (ص ١٤٧) .

٢ الفهرست (ص ١٥٢) .